9 سلسلة الدروس الثقافيّة

# في كنف الوحي




شبكة المعارف الإسلامية

مركز نون للتأليف والترجمة




# في كنف الوحي

**جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة**

بيروت. لبنان. المعمورة. الشارع العام

**هاتف:** 01/471070

**ص.ب.** 25/327 .24/53

| | |
|---|---|
| **الكتاب:** | **في كنف الوحي** |
| **تأليف:** | **مركز نون للتأليف والترجمة** |
| **نشر:** | **جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة** |
| **الطبعة الثالثة** - 2014 م - 1435 هـ | |

# في كنف الوحي



مركز نون للتأليف والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

# الفهرس

# المقدّمة

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد بن عبد اللّه وعلى آله الأطهرين الأكرمين وبعد.

إنّ القرآن الكريم لم يقتصر على كونه معجزة النبوّة وبرهان الرسالة، بل هو بالإضافة إلى ذلك كتاب الهداية بقوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

وهو الضمان الّذي لا بدّ من التمسّك به لمنع الانحراف والأمن من الضلال. ورد في الرواية عن الإمام عليّ عليه السلام قال:

«سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**كتاب اللّه فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الّذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة ردّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الّذي من تركه من جبّار قصمه اللّه، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه اللّه، هو حبل اللّه المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الّذي من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم**»[2].

---

(1) سورة البقرة، الآية 2.

(2) الشيخ الطبرسي، مجمع البيان،ج1، ص40، تحقيق وتعليق لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصائيين، الناشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة 1، 1995م.

يتضمّن هذا الكتاب الماثل بين يديك مجموعة من الدروس القرآنية الهامّة، وهو للاستفادة من الكتاب العزيز والاستنارة بنوره والاهتداء بهداه من خلال انتخاب بعض قصار السُوَر وبيان معانيها والتركيز على بعض مفاهيمها.

نسأل الله تعالى أن ينفع به المؤمنين ويزيدهم هدى.

مركز نون للتأليف والترجمة

1

# سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا
يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا
(٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن
دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ
لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)﴾.

- الضحى: انتشار نور الشمس.
- تلاها: اتّبعها.
- جلّاها: أظهرها وأبرزها.
- يغشاها: يغطيها أو يلبسها السواد.
- زكّاها: طهّرها.

## هويّة السورة:

مكّيّة، وعدد آياتها خمس عشرة آية.

## محتوى السورة وفضيلتها

هــذه السورة هي فــي الواقع ســورة تهذيب النفــس، وتطهير القلوب مــن الأدران، ومعانيهــا تدور حول هــذا الهدف. وفي مقدّمتها قسم بأحــد عشر مظهراً من مظاهر الخليقــة وبذات الباري سبحانه، مــن أجل التأكيد على أنّ فــلاح الإنسان يتوقّف على تزكية نفسه. والسورة فيها من القسم ما لم يجتمع في سورة أخرى.

وفي المقطع الأخير من السورة ذكر لقوم ثمود باعتبارهم نموذجاً من أقوام طغت وتمــرّدت، وانحــدرت بسبب ترك تزكيــة نفسها إلى هاويــة الشقاء الأبــديّ، والعقاب الإلهيّ الشديد.

هــذه الســورة القصيرة فــي الواقع تكشف عــن مسألة مصيرية هامّــة من مسائل البشريّة، وتبيّن نظام الإسلام في تقييم أفراد البشر.

وفي فضيلة تلاوة هذه السورة يكفّي أن نذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ قال:

«**من قرأها فكأنّما تصدّق بكلّ شيء طلعت عليه الشمس والقمر**»[1].

---

(1) الطبرسي، ميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل، ج4، ص359، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الناشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

## في كنف السورة

### 1 - الظواهر الكونيّة والنفس الإنسانيّة:

إنّ اقتران النفس الإنسانيّة مع الظواهر الكونيّة كالشمس والقمر والأرض والسماء والليل والنهار، مع ما تتضمنّه هذه الظواهر من عظمة يدلُّ على عظمة النفس الإنسانيّة ومدى دورها في هذا الكون العظيم.

فموضوع النفس الإنسانيّة موضوع خطير وعظيم؛ كعظمة السماء والأرض والشمس والقمر... فهي (أيّ النفس الإنسانيّة) تستحقّ الاهتمام من الإنسان ومعرفة ما يصلحها وما يفسدها، كما أنّ هذه الظواهر تستحقّ التفكّر.

من هنا تعمل هذه الأقسام على تحريك الفكر في الإنسان كي يمعن النظر في هذه الموضوعات الهامّة من عالم الخليقة، وليتّخذ منها سبيلاً إلى الله تعالى.

فالشمس مثلاً: ذات دور هام وبنّاء جداً في الموجودات الحيّة على ظهر البسيطة. فهي إضافة إلى كونها مصدراً للنور والحرارة، وهما عاملان أساسان في الحياة الأرضية، تعتبر مصدراً لغيرهما من المظاهر الحياتية. حركة الرياح، وهطول الأمطار، ونمو النباتات، وجريان الأنهار والشلالات، بل حتّى نشوء مصادر الطاقة مثل النفط والفحم الحجريّ، كلّ واحد منها يرتبط بنظرة دقيقة بنور الشمس.

ولو قدّر لهذا المصباح الحياتيّ أن ينطفئ يوماً لساد الظلام والموت في كلّ مكان.

هذا جانب من التفكّر في بعض ما أقسمت به هذه السورة المباركة وهو جزء بسيط جدّاً من هذا الكون الشاسع.

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1].

(1) سورة آل عمران، الآية 191.

### 2 - أهمّيّة تهذيب النفس:

كلّمـا ازداد عدد أقسام القرآن ازدادت أهمّيّة الموضوع. وفي هذه السورة المباركة أكبر عدد من الأقسام، ثمّ جاء التركيز على أنّ النجاح والفلاح في تزكية النفس، وأنّ الخيبـة والخسران في ترك التزكيـة. وهذه في الواقع أهمّ مسألة فـي حياة الإنسان، والقـرآن إذ يطرح هذه الحقيقـة إنّما يؤكد على أنّ فلاح الإنسـان لا يتوقّف على جمع المـال والمتاع الفاني ونيـل المنصب والمقـام، ولا على أعمال أشخاص آخرين كما هـو معروف عند المسيحيّين بشأن ارتباط فـلاح الإنسان بتضحية المسيح بل الفلاح يرتبط بتزكية النفس وتطهيرها وسُموِّها في ظلّ الإيمان والعمل الصالح.

وشقـاء الإنسان ليس أيضاً وليد قضاء وقـدر اجباريّين، ولا نتيجة مصير مرسوم، ولا بسبب فعل هذا أو ذاك، بل هو بسبب التلوّث بالذنوب والانحراف عن مسير التقوى.

وفـي التاريـخ نماذج عديدة تؤكّد هـذه الحقيقة، أقصد أنّ فـلاح الإنسان إنّما هو بعمله وبإرادته وصبره وتزكيته لنفسه.

نعطـي حادثـة يرويها التاريـخ فيها عبـرة لمن اعتبـر، وازدجار لمـن ازدجر، ففي الروايات أنّ زوج العزيز زليخا قالت ليوسف لمّا أصبح حاكم مصر: إنّ الحرص والشهوة تصيّر الملوك عبيداً، وإنّ الصبر والتقوى يصيّر العبيد ملوكاً، فقال يوسف عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(1).

وعنها أيضاً قالت لما رأت موكب يوسف مارّاً من أمامها: الحمد لله الّذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً.

### 3 - عاقبة أمّة لم تهذّب نفسها:

الفلاح والخيبة الناتجان عن تزكية النفس وعدمها، غير مقتصرين على الإنسان الفرد بل هذه السنّة الإلهيّة تنطبق على الأمم، والآيات الأخيرة من هذه السورة

(1) سورة يوسف، الآية 90.

المباركة تشير إلى هذه السنّة الإلهيّة، فتتحدّث عن مصير قوم «ثمود» بعبارات قصيرة قاطعة ذات مدلول عميق.

فقوم ثمود من أقدم الأقوام الّتي سكنت منطقة جبلية بين الحجاز والشام وكانت لهم حياة رغدة مرفّهة، وأرض خصبة، وقصور فخمة، غير أنّهم لم يؤدّوا شكر هذه النِّعم، بل طغوا وكذّبوا نبيّهم صالحاً، واستهزأوا بآيات الله، فكان عاقبة أمرهم أن أُبيدوا بصاعقة سماوية.

ثمّ تستعرض مقطعاً بارزاً من طغيان القوم وتقول: إذ انبعث أشقاها، وأشقى ثمود، هو الّذي عقر الناقة الّتي ظهرت باعتبارها معجزة بين القوم، وكان قتلها إعلان حرب على النبيّ صالح عليه السلام.

هذا ويلاحظ أنّ قاتل الناقة شخص واحد أشارت إليه الآية:

﴿إِذِ انۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾.

بينما نسب العقر إلى قوم ثمود جميعاً ﴿فَعَقَرُوهَا﴾، وهذا يعني أنّ كلّ هؤلاء القوم كانوا مشاركين في الجريمة؛ وذلك لأنّ هذه الجريمة تمّت برضا القوم فهم شركاء في الجريمة بهذا الرضا.

وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال:

**«إنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لمّا عموه بالرضا، فقال سبحانه: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾»**[1].

(1) سورة الشعراء، الآية 157.

للمطالعة

**كلام الإمام الخمينيّ قدس سره حول تزكية النفس**

إعلم أنّ الإنسان أعجوبة وله نشأتان وعالمان: نشأة ظاهرية ملكية دنيوية وهي بدنه. ونشأة باطنية غيبيّة ملكوتيَّة وهي من عالم آخر. ولنفس الإنسان وهي من عالم الغيب والملكوت مقامات ودرجات قسَّموها بصورة عامّة إلى سبعة أقسام حيناً، وإلى أربعة أقسام حيناً آخر وحيناً إلى ثلاثة أقسام وحيناً إلى قسمين. ولكلّ من المقامات والدرجات جنود رحمانية وعقلانيّة تجذب النفس نحو الملكوت الأعلى وتدعوها إلى السعادة. وجنود شيطانية وجهلانية تجذب النفس نحو الملكوت السفليّ وتدعوها للشقاء. ودائماً هناك جدال ونزاع بين هذين المعسكرين، والإنسان هو ساحة حربهما، فإذا تغلّبت جنود الرحمن كان الإنسان من أهل السعادة والرحمة وانخرط في سلك الملائكة وحشر في زمرة الأنبياء والأولياء والصالحين.

وأما إذا تغلّب جند الشيطان ومعسكر الجهل، كان الإنسان من أهل الشقاء والغضب، وحشر في زمرة الشياطين والكفّار والمحرومين.

إعلم أنّ مقام النفس الأوّل ومنزلها الأسفل، هو منزل الملك والظاهر وعالمهما. وفي هذا المقام تتألّق الأشعّة والأنوار الغيبيّة في هذا الجسد الماديّ والهيكل الظاهريّ، وتمنحه الحياة العرضية، وتجهّز فيه الجيوش، فكأنّ ميدان المعركة هو نفس هذا الجسد، وجنوده هي قواه الظاهريّة الّتي وجدت في الأقاليم الملكية السبعة يعني: «الأذن والعين واللسان والبطن والفرج واليد والرجل»، وجميع هذه القوى المتوزّعة في تلك الأقاليم السبعة هي تحت تصرف النفس في مقام الوهم، فالوهم سلطان جميع القوى الظاهريّة والباطنية للنفس، فإذا تحكّم الوهم على تلك القوى سواء بذاته مستقلاً أو بتدخّل الشيطان، جعلها - أيّ تلك القوى - جنوداً للشيطان، وبذلك يجعل هذه المملكة تحت سلطان الشيطان، وتضمحل عندها جنود الرحمن

والعقـل، وتنهزم وتخـرج من نشأة الملك وعالـم الإنسان وتهاجر عنـه، وتصبح هذه المملكـة خاصّة بالشيطان. وأما إذا خضع الوهـم لحكم العقل وكلاهما خضعا لحكم الشرع وكانت حركاتهما وسكناتهما مقيّدة بالنظام والعقل والشرع، فقد أصبحت هذه المملكة مملكة روحانيّة وعقلانيّة، ولم يجد الشيطان وجنوده محطّ قدم لهم فيها.

إذاً؛ فجهاد النفس (وهو الجهاد الأكبر الّذي يعلو على القتل في سبيل الحقّ تعالى) هو في هذا المقام عبارة عن انتصار الإنسان على قواه الظاهريّة، وجعلها تأتمر بأمر الخالق، وتطهير المملكة من دنس وجود قوى الشيطان وجنوده[1]...

---

(1) الإمام الخميني قدس سره، الأربعون حديثاً، ص29.

2

# سُورَةُ اللَّيۡلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ (٣) إِنَّ سَعۡيَكُمۡ
لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ
(٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ (١٠)
وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ (١١) إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ (١٣)
فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى (١٥) ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦)
وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى (١٧) ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن
نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ (١٩) إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٢٠) وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ (٢١)﴾.

- يغشى: يغطّي.
- تجلّى: ظهر.
- شتّى: مختلف ومتنوّع.
- اليسرى: العمل الصالح.
- استغنى: طلب الغنى.

## هويّة السورة:

هذه السورة مكّيّة، وعدد آياتها إحدى وعشرون آية.

## سبب النزول

قيل في سبب نزولها إنّ هذه السورة نزلت في رجل كان له نخل كثير. ومن تلك الأشجار نخلة مائلة تطلّ بفرعها على بيت فقير ذي عيالٍ. فكان الرجل يمنع عياله (الفقير) من أخذ ما يسقط من النخلة في الدار وإذا أكل أحدهم شيئاً منها أدخل إصبعه في فيه وأخرجه. فشكا الفقير إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فعرض النبيّ على الرجل أن يعطيه إيّاه مقابل نخلة في الجنّة فرفض. إلّا أنّ أحد المؤمنين اشتراه منه بأربعين نخلة وقام بإعطاء تلك النخلة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الّذي بادر إلى بيت الفقير ليعلمه بأنّ النخلة أصبحت ملكه. فأنزل الله هذه السورة[1].

## محتوى السورة وفضيلتها

هذه السورة تحمل كلّ خصائص السور المكية من قِصَر في الآيات، وحرارة في طرح المحتوى، وتركز أساساً على القيامة وعلى ما في ذلك اليوم من جزاء وعقاب.

بعد القسم بثلاث ظواهر في بداية السورة يأتي تقسيم الناس إلى منفقين متّقين، وبخلاء منكرين. وتذكر عاقبة كلّ مجموعة؛ اليسرُ والسعادة والهناء للمجموعة الأولى،

---

(1) الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص376، تحقيق وتعليق لجنة من العلماء والمتخصّصين، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ – 1995 م.

والعسرُ والضنك والشقاء للمجموعة الثانية.

وفــي مقطــع آخر من السورة إشارة إلــى أنّ الهداية على الله سبحانــه، وأنّه تعالى أنذرهم من نار جهنّم.

ثــمّ تذكر السورة في نهايتها من يدخل هذه النار ومن ينجو منها، مع ذكر أوصاف الفريقين.

في فضيلة تلاوة هذه السورة ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

«**من قرأها أعطاه الله حتّى يرضى، وعافاه من العسر ويسّر له اليسر**»[1].

## في كنف السورة

في هذه السورة المباركة استفادات عديدة:

**1 - الحث على التفكّر:**

أنّهــا كما الســورة السابقة «**ســورة الشمس**» تحفِّــز العقل والتفكيــر الإنسانيّ على النظر والتأمّل في الظواهر الكونيّة، ولا يمرُّ عليها مروراً لا فائدة فيه.

فإنّ من المعروف أنّ الشيء الّذي تراه دائماً يفقد الاهتمام والاعتناء، فالشمس مثلاً الناس يمرّون عليها ولا يعرفون قيمتها لأنّها دائماً في وجوههم، وكذا الليل والنهار، فلذلك اعتادوا على هذه الظواهر ولم يعيروها التأمّل، مع ما تحمل لهم ولاستقرارهم على الأرض من أهمّيّة.

كمــا أنّ هذه الســورة كغيرها من السور الّتي تأتي على ذكــر الظواهر الكونيّة تريد للإنسان أن ينظر إلى أبعد من أفق ذاته، ولا يحشر نفسه في محدوديتها، وبذلك تكون نظرته شمولية للكون، فيتّسع أفق تفكيره ويكبر.

كمــا أنّ التفكّر في عظمة الظواهر الكونيّة «**المعلــول، المخلوق**» يدلُّنا على عظمة موجدها «**العلّة، الخالق**»، وبذلك تنتعش النفس الإنسانيّة بالإيمان والتقوى والصلاح والطمأنينة.

(1) الطبرسي؛ مجمع البيان، ج10، ص499.

2 - **الذكر والأنثى:**

السورة المباركة أيضاً تُلفت إلى ازدواجية الحياة الإنسانيّة، وأنّ هناك أنثى وذكراً، رجلاً وامرأة، ولكلٍّ منهما قيمته عند الله، فلولا الرجل ما كانت المرأة، ولولا المرأة ما كان الرجل، ولا عمرت الأرض بسكّانها. فالمرأة والرجل شريكان في هذه الحياة، وعلى كلٍّ منهما أن يقوم بدوره وأن يأخذ حقّه ويعطي الحقّ للآخر.

والمراجع للتاريخ يرى أنّ الإنسانيّة ظلمت المرأة عند كلّ مفصل تبتعد فيه عن الرسائل الإلهيّة.

فمثلاً عند عرب الجاهلية لم يكن للمرأة وزن، وكانت لا ترث، وزواجها يرجع إلى أمر وليها من دون أن يكون لها حقّ الاعتراض ولا المشورة، حتّى أنّ الولد يمنع أرملة أبيه من الزواج.

وكانت المرأة تُمنع من الزواج إلّا من قريبها لوجود حقّ الدم عليها. وكانوا يفرحون إذا ولد لهم ولد ذكر، ويغتمّون إذا ولد لهم أنثى، إلى حدِّ وأد البنات ودفنهنّ حيّات، كما يذكر القرآن الكريم في عدَّة آيات:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[1].

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾[2].

ففي التوراة المحرّفة: «**درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمةً وعقلاً، ولأعرف الشرّ أنّه جهالة، والحماقة أنّها جنون، فوجدت أمرّ من الموت المرأة الّتي هي شباك، وقلبها أشراك، ويداها قيود،... رجلاً واحداً بين ألف وجدت أمّا امرأة فبين كلّ أُولئك لم أجد**».

ولم ينحصر الظلم بعرب الجاهلية بل حتّى بعض الفلاسفة ظلموا المرأة بآرائهم، يقول الفيلسوف «روسّو»: «**إنّ المرأة لم تخلق للعلم ولا للحكمة ولا للتفكير ولا**

(1) سورة النحل، الآية 58.

(2) سورة التكوير، الآيتان 8 – 9.

**للفنّ ولا للسياسة، وإنّما خلقت لتكون أمّاً تغذّي أطفالها بلبنها».**

هذا كلّه بخلاف الإسلام الّذي رفع من قيمة المرأة وعرّفها حقيقتها وأكّد مسؤوليتها كما الرجل، في كثير من آيات القرآن، ومنها هذه الآيات:

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾﴾[1].

كلّ ذلك يشمل الذكر والأنثى، فكلاهما مسؤول وكلاهما مثاب أو معاقب.

لذلك يقول تعالى مؤكّداً مسؤولية المرأة، وقدرتها على التكامل الإنسانيّ كما الرجل:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

إلى غير ذلك من الآيات الّتي تشير إلى هذه الحقيقة.

**3- الهداية والإرادة:**

فقوله تعالى:

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ يشير إلى حريّة إرادة الإنسان ذكراً كان أم أنثى وإلى كون الإنسان مريداً مختاراً للطريق الّذي يسلكه إما التقى فالجنّة وإما التكذيب لله ورسوله فالنار.

ثمّ إنّ قوله تعالى:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ إشارة إلى أنّ الله تعالى لم يترك الإنسان دون أن يعطيه سبل الهداية، حيث خلقه عاقلاً مختاراً، وأرسل له الرسل وأنزل الكتب الإلهيّة؛ لا سيّما خاتم الرسل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وخاتمة الرسالات الإسلام العظيم، والقرآن الحكيم.

(1) سورة الليل، الآيات 3-5.

(2) سورة الأحزاب، الآية 35.

## للمطالعة

### نخلة في الجنّة

روي عن ابن عبّاس في نزول هذه السورة:

أنّ رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، وكان الرجل إذا جاء فدخل الدار وصعد النخلة ليأخذ منها التمر، فربّما سقطت التمرة فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من النخلة حتّى يأخذ التمر من أيديهم، فإن وجدها في فيه أحدهم أدخل إصبعه حتّى يأخذ التمرة من فيه. فشكا ذلك الرجل إلى النبيّ ﷺ، وأخبره بما يلقى من صاحب النخلة.

فقال له النبيّ ﷺ: إذهب.

ولقي رسول الله ﷺ صاحب النخلة فقال: تعطيني نخلتك المائلة الّتي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنّة؟

فقال له الرجل: إنّ لي نخلاً كثيراً، وما فيه نخلة أعجب إليَّ تمرة منها.

قال: ثمّ ذهب الرجل.

فقال رجل كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ: يا رسول الله أتعطيني ما أعطيت الرجل نخلة في الجنّة إن أنا أخذتها؟

قال ﷺ: نعم.

فذهب الرجل ولقي صاحب النخلة فساومها منه فقال له: أشعرت أنّ محمّداً أعطاني بها نخلة في الجنّة فقلت له يعجبني تمرتها وإن لي نخلاً كثيراً فما فيه نخلة أعجب إليَّ تمرة منها؟

فقال له الآخر: أتريد بيعها؟

فقال: لا إلّا أن أُعطى ما لا أظنّه أعطى.

قال: فما مُناك؟

قال: أربعون نخلة.

فقال الرجل: جئت بعظيم، تطلب بنخلتك المائلة أربعين نخلة؟!

ثمّ سكت عنه، فقال له: أنا أعطيك أربعين نخلة.

فقال له: أَشْهِدْ إن كنت صادقاً.

فمــرّ إلى أناس فدعاهــم فأشهد له بأربعين نخلة، ثمّ ذهــب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يارسول الله إنّ النخلة صارت في ملكي، فهي لك.

فذهــب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى صاحب الدار، فقال له: النخلة لك لعيالك. فأنزل الله تعالى:

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ...﴾[1].

(1) العلاّمة المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج22، ص61، تحقيق عبد الرحيم الرباني الشيرازي، نشر مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان، 1403هـ - 1983م، قضية وإذا رأو تجارة أو لهو ... .

3

# سُورَةُ الشَّرْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ
﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ
فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾﴾.

- نشرح: نبسط.
- الوزر: الحمل الثقيل.
- أنقض: أثقل، كسر.

## هويّة السورة:

نزلت هذه السورة في مكّة، عدد آياتها ثمانية.

## محتوى السورة وفضيلتها

المعـروف أنّ هذه السـورة نزلت بعد سورة «**الضحى**» ومحتواهـا يؤيّد ذلك، لأنّها تسرد أيضاً قسماً من الهبات الإلهيّة لرسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

في سورة الضحى عرض لثلاث هبات إلهية بعضها مادّيّ وبعضها معنويّ. وفي هذه السـورة ذكر لثلاث هبات أيضاً غير أنّ جميعها معنويّ. وتدور السورة بشكل عامّ حول ثلاثة محاور:

**الأوّل**: بيان النِّعم الثلاث.

**الثاني**: تبشير النبيّ بزوال العقبات أمام دعوته.

**الثالث**: الترغيب في عبادة الله الواحد الأحد.

ولذلك ورد عن أهل البيت عليهم السلام ما يدّل على أنّ هاتين السورتين سورة واحدة كما ذكرنا، ووجب قراءتهما معاً في الصلاة لوجوب قراءة سورة كاملة بعد الحمد.

وبشأن مكان نزول السورة، يتبيّن أنّها نزلت في مكّة، ولكن آية:

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

حدث ببعض المهتمّين إلى الاعتقاد أنّها نزلت في المدينة، حيث ارتفع ذكر النبيّ ﷺ وشاع صيته في كلّ مكان. وليس هذا الدليل بتامّ، لأنّ النبيّ الأكرم ﷺ ذاع صيته قبل الهجرة رغم كلّ العقبات والمشاكل وكان الحديث عن دعوته على الألسن في جميع المحافل، كما إنّ خبر الدعوة انتشر في الحجاز عامّة والمدينة خاصّة من خلال الوافدين على مكّة في موسم الحجّ.

في فضيلة هذه السورة ورد عن النبيّ الأكرم ﷺ أنّه قال:

«**من قرأها أُعطِيَ من الأجر كمن لقي محمّداً مغتماً ففرّج عنه**»[1].

## في كنف السورة

السورة المباركة فيها العديد من الاستفادات، منها:

1 - **شرح الصدر:**

مسألة شرح الصدر وردت في العديد من الآيات القرآنية، ففي سورة الأنعام، الآية 125، قال تعالى:

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

وفي سورة النحل، الآية 106، قال تعالى:

﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾.

وفي سورة طه، الآية 25، بخصوص دعاء النبيّ موسى عليه السلام قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾.

وفي سورة الزمر، الآية 22، قال تعالى:

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ﴾.

(1) الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص507.

وفي هذه السورة (الانشراح):

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

وهنا نقف على بعض استفادات هذه الآيات:

أ - **الهداية وشرح الصدر في الإسلام:** فآية الأنعام 125، وآية الزمر 22، تشيران بوضوح أنّ اللّه يهدي وينير طريق من شرح صدره للإسلام وآمن بعقيدته (باللّه تعالى وبالأنبياء ومنهم رسول اللّه ﷺ واليوم الآخر يوم الجزاء)، أمّا من شرح صدره للكفّر (النحل 106)، وضلَّ عن الإسلام فهو ضيِّق الصدر.

وهذه حقيقة ترونها بوضوح إذا قارنتم بين المسلم الّذي شرح اللّه صدره للإسلام بكلّ تعاليمه، وبين الكافر أو المنافق أو الفاسق الّذين أقفلوا صدورهم عن الإسلام.

فالصنــف الأوّل، منشرح الصدر والعقل، مطمئنّ الروح، مستقرّ النفس، والصنف الثاني، ضيّق الصدر والفكر، قلق الروح، خائف النفس، وهذه حقيقة لا شكّ فيها.

ولا نريــد أن نأتي بتقارير عن المأزق والضيق الروحــيّ والنفسيّ والعقليّ والحياتيّ الّــذي يعيش فيه الصنف الثاني، فالتقارير كثيــرة تملأ صفحات الجرائد والمجلّات، فهذا يقتل، وذاك ينتحر، وآخر مريض نفسيّاً في المصحّات، إلى آخر الأوبئة الفرديّة والاجتماعيّة.

ب - **المقصود من «الصدر»:** هنا هو الروح والفكر. وهذه الكناية ترد كثيراً. والمقصود من «**الشرح**» هو اتّساع الروح وارتفاع الفكر وانفساح أفق العقل البشريّ، لأنّ تقبّل الحقّ يستدعي التنازل عن الكثير من المصالح الشخصية، ممّا لا يقدر عليه إلّا ذَوو الأرواح العالية والأفكار السامية.

ج - **معجزة قرآنيّة علميّة:** ثبت اليوم علمياً أنّ الهواء المحيط بالأرض مضغوط وصالح لتنفّس الإنسان. ولكنّنا كلّما ارتفعنا قلّت كثافة الهواء ونسبة وجود الأوكسجين فيه، بحيث إنّنا إذا ارتفعنا بضعة كيلومترات أصبح من الصعب أن نتنفّس بسهولة (بغير قناة الأوكسجين). وإذا ما واصلنا صعودنا ازداد ضيق تنفّسنا وأصبنا بالإغماء.

إنّ ذكر هذا التشبيه في سورة (الأنعام 125)، وفي زمن نزول القرآن، قبل أن تثبت هذه الحقيقة العلمية، يعتبر واحدة من معجزات القرآن العلمية.

د - **في خصوص الآية** ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ **في سورة الانشراح:** بعد أن عرفنا أهمّيّة شرح الصدر للإسلام، ومدى ضرورتها للإنسان المسلم لهدايته وارتقائه الفكريّ والمعنويّ، نعلم مدى أهمّيّة ذلك للأنبياء والرسل؛ حيث كلّما كان دور الإنسان أعظم كانت الحاجة إلى شرح الصدر أعظم.

لذلك نرى النبيّ موسى عليه السلام يدعو ربَّه، عندما أمره بالذهاب إلى فرعون ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾.

فلا يمكن لقائد كبير أن يجابه العقبات دون انشراح الصدر. ومن كانت رسالته أعظم (كرسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم) كانت الضرورة لشرح صدره أكبر، كي يبلِّغ الناس رسالة اللّه بفكر واسع، وروح شجاعة صابرة؛ كي لا تزعزعه الأزمات، ولا تثني عزمه الصعاب، ولا تبعث مكائد الأعداء اليأس في نفسه.

والمتمعّن في حياة الأنبياء وخاصّة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم الّذي قال: «**ما أوذي نبيّ مثل ما أوذيت**»(1) يرى مدى تحمّلهم لأقوامهم وصبرهم على أذاهم.

## 2 - رفع الذكر:

يفهم كثير من الناس الإسلام فهماً خاطئاً، فمثلاً: بعضهم يحسب أنّ الإسلام يحبس الإنسان في ذاته، ويكبت طموحاته حتّى ولو كانت شريفة، ولا يرضى للإنسان أن يكون مشهوراً بالمطلق. هذه النظرة ينفيها العديد من الآيات ومنها هذه الآية، حيث عدّ اللّه من النِّعم على رسول اللّه «**رفع الذكر**» الّذي يعني الاشتهار بالذكر المرتفع الحسن.

فلا ضير في أن يكون المؤمن مشهوراً بالفكر الواسع، والأخلاق الحسنة، والفضائل الكريمة، طالما أنّها في رضا اللّه لا رضا الذّات.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج39، ص56.

فهـذا محمّد ﷺ الفقير اليتيم أصبـح رسول اللّه، فاسمه مع الإسلام والقرآن قد مـلأ الآفاق، وأكثر مـن ذلك اقترن اسمه باسـم اللّه سبحانه فـي الأذان يُرفع صباح مساء على المآذن، والشهادة برسالته لا تنفكّ عن الشهادة بتوحيد اللّه...

وفي الفضائل والمكارم والذكر الحسن فليتنافس المتنافسون.

3 - **مع العسر يسر:**

هـذه الحقيقة ينبغي أن تظلّ في القلوب، خاصّة عنـد الضيق والمشاكل والمتاعب والفقـر. لقد أكّد اللّه تعالى هذه الحقيقـة مرّتين، فلن يبقى الفرد ولا الأمّة على حالة الضيـق، فإنّ مع الضيق سعة، ومع الفقر غنى، ومـع الشدّة فرجاً. وهذا ما نتعلّمه من حياة رسول اللّه والمسلمين الأوائل الّذين كانوا في أشدّ ضيق، من الحصار الاجتماعيّ والاقتصاديّ والنفسيّ، فأشرق الفرج من بعد العسر.

فالآية تؤكّد صفة التفاؤل في نفس المؤمن، وتبعد عنه هواجس التشاؤم والقلق.

4 - **العمل الدائم والاعتماد على اللّه تعالى:**

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾.

ذكر المفسّرون لتفسير الآيتين معانيَ:

- إذا فرغت من فريضة الصلاة فادع اللّه واطلب منه ما تريد.
- أو عند فراغك من أمور الدنيا ابدأ بأمور الآخرة والصلاة وعبادة الربّ.
- أو عند فراغك من الواجبات توجه إلى المستحبات الّتي حثّ اللّه عليها.
- أو عند فراغك من جهاد الأعداء انهض إلى العبادة.
- أو عند فراغك من جهاد الأعداء ابدأ بجهاد نفسك.

أو عند انتهائك من أداء الرسالة انهض لطلب الشفاعة.

أو كمـا عن الحسكانيّ، حيـث روى عن الصادق عليه السلام في «**شواهـد التنزيل**» في

تفسير الآية: «**إذا فرغت فانصب عليّاً بالولاية**»[1].

أو كما عن القرطبيّ في تفسيره حيث روى عن بعضهم أنّ معنى الآية: إذا فرغت فانصب إماماً يخلفك.

ولكن كلّ هذه المعاني يجمعها معنى عامّ، وهدفها أن تحثّ النبيّ باعتباره قدوة والمسلمين على عدم الخلود إلى الراحة، وتدعوه إلى السعي والعمل الدائم، اعتماداً واتّكالاً على الله تعالى. يقول صاحب تفسير الميزان: «**وعليه فالمعنى إذا كان العسر يأتي بعده اليسر، والأمر فيه إلى الله لا غير، فإذا فرغت مما فرض عليك فأتعب نفسك في الله. بعبادته ودعائه. وارغب فيه ليمنّ عليك بما لهذا التعب من الراحة ولهذا العسر من اليسر**» [2].

(1) الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج2، ص452.
(2) الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص508.

## للمطالعة

### الأشدّ عبادة

عـن سليمان بن معلّى بن خنيس، عن أبيه، قال: سأل أبو عبد الله عليه السلام عن رجلٍ وأنا عنده فقيل له: أصابته الحاجة.

قال: فما يصنع اليوم؟

قيل: في البيت، يعبد ربّه.

قال: فمن أين قوته؟

قيل: من عند بعض إخوانه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام :

«**والله لَلَّذي يقوته أشدّ عبادة منه**»[1].

### الرسول وثعلبة

كان «**ثعلبة بن خاطب**» من الأنصار. قال للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : ادعُ الله أن يرزقني مالاً. فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «**يا ثعلبة، قليل تؤدّي شكره خير من كثير لا تطيقه، أما لك في رسول الله أسوة حسنة؟ والّذي نفسي بيده، لو أردتُ أن تسيرَ الجبال معي ذهباً وفضّةً لسارت**».

ثمّ أتاه بعد ذلك، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، والّذي بعثك بالحقّ، لئن رزقني الله مالاً لأعطينَّ كلّ ذي حقٍّ حقّه.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

«**اللّهمّ ارزق ثعلبة مالاً**».

قـال: فاتّخذ غنمـاً، فنمت كما ينمو الـدود. فضاقت عليه المدينـة. فتنحّى عنها، فنـزل وادياً مـن أوديتها، ثمّ كثرت نمـواً حتّى تباعدَ عن المدينـة، فاشتغل بذلك عن الجمعـة والجماعة، وبعث رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه المصدّق ليأخذ الصدقة، فأبى وبخل،

(1) الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص508.

وقال: ما هذه إلّا أُخت الجزية، فقال رسول اللّه ﷺ:

**«يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة»**[1].

## العقل

أثنى قوم بحضرة الرسول الأقدس ﷺ على رجلٍ حتّى ذكروا جميع خصال الخير.

فقال رسول اللّه ﷺ:

**«كيف عقل الرجل»؟**

فقالوا: يا رسول اللّه! نخبرك عنه باجتهاده في العبادة وأصناف الخير تسألنا عن عقله؟

فقال ﷺ:

**«إنّ الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر. وإنّما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزُّلفى من ربّهم على قدر عقولهم»**[2].

(1) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج22، ص40.

(2) الطبرسي، مجمع البيان، ج5، ص53.

4

# سُورَةُ القَدْرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ
مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ
هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾.

- ليلة القدر: هي ليلة يقدِّر الله فيها مصير البشر وتُعيَّن بها مقدراتهم.
- الروح: مخلوق عظيم يفوق الملائكة[1].

(1) وقيل إنّه جبرائيل.

## هويّة السورة:

هذه السورة مكّيّة، وآياتها خمسة.

## محتوى السورة وفضيلتها

محتوى السورة كما هو واضح من اسمها بيان نزول القرآن الكريم في ليلة القدر، وبيان أهمّيّة هذه الليلة وبركاتها.

وحول مكان نزولها في مكّة أو المدينة، المشهور بين المفسّرين أنّها مكّيّة واحتمل بعضهم أنّها مدنيّة، لما روي أنّ النبيّ ﷺ رأى في منامه «**بني أمية**» يتسلّقون منبره، فصعب ذلك على النبيّ وآلمه، فنزلت سورة القدر تسلية (لذلك قيل إنّ ألف شهر في السورة هي مدة حكم بني أميَّة). ونعلم أنّ منبر النبيّ أقيم في مسجد المدينة لا في مكّة[1].

لكنّ المشهور كما قلنا أنّها مكّيّة. وقد تكون الرواية من قبيل التطبيق لا سبباً في النزول. ويكفّي في فضيلة تلاوتها ما روي عن النبيّ ﷺ قال:

«**من قرأها أُعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر**»[2].

---

(1) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، «الدر المنثور»، ج6، ص371، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، لا، د، لا، ت، لا، ط.

(2) الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص516.

وعن الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال:

**«من قرأ إنّا أنزلناه بجهر كان كشاهر سيفه في سبيل الله، ومن قرأها سراً كان كالمتشحّط بدمه في سبيل الله»**[1].

وواضح أنّ كلّ هذه الفضائل في التلاوة تزداد وتتأكّد لمن يقرأها ويفهمها ويعمل بها... من يقدّر القرآن حقّ قدره ويطبّق آياته في حياته.

## في كنف السورة

### 1 - ليلة القدر والقدر:

في الإسلام العظيم اهتمام ببعض الأمكنة والأزمنة، فلقد جعل بعضها مباركاً وفيه خصوصيّة عن غيره، فمثلاً بارك المسجد الحرام والكعبة المكرّمة والمسجد الأقصى إلى غير ذلك من الأمكنة، وبارك شهر رمضان وجلّل الأشهر الحرم (وهي ذو القعدة، ذو الحجة ورجب ومحرّم) وبارك ليلة القدر الّتي أنزل فيها القرآن العظيم:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾.

### 2 - وجه التسمية بليلة القدر:

أمّا بخصوص تسميتها بليلة القدر فقد قيل الكثير في ذلك:

أ – سُمِّيَت بالقدر لقدر منزلتها وعلوّ شرفها.

ب – لأنّ القرآن بكلّ قدره ومنزلته نزل على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة الملك العظيم في هذه الليلة.

ج – إنّها الليلة الّتي قدّر فيها نزول القرآن.

د – إنّها الليلة الّتي من أحياها نال قدراً ومنزلة.

هـ – إنّها الليلة الّتي تنزل فيها الملائكة حتّى تضيق بهم الأرض لكثرتهم، لأنّ القدر

(1) الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص516.

جاء بمعنى الضيق، كما في قوله تعالى:

﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[1].

و - وهو التفسير الأشهر: إنّها الليلة الّتي تعيَّن فيها مقدّرات العباد لسنة كاملة، كما يشهد لذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾[2].

وقد ورد في بعض الروايات: في هذه الليلة تعيّن مقدّرات الناس لسنة كاملة، وهكذا أرزاقهم، ونهاية أعمارهم، وأمور أخرى تفرق وتبيّن في تلك الليلة المباركة.

وهنا يجرُّنا الحديث إلى معنى القدر:

فهل تعني مسألة «**القدر**» الجبر، كما يرى الجبريون أنّ الإنسان في أعماله وأقواله وسلوكه ليس مختاراً؟ أو أنّ المسألة على العكس من ذلك كما يرى المفوِّضون، حيث يعتقدون بالتفويض أيّ أنّ الله خلقنا وترك كلّ شيء بيدنا، ولا يعود أيّ دخل له في أعمالنا، وبناء على ذلك يكون لنا الحرية الكاملة والاستقلال التامّ فيما نفعل بلا منازع؟

أو أنّ المسألة ليست جبراً ولا تفويضاً، الصحيح الّذي ينسجم مع عدالة الله تعالى والإيمان بتوحيده هو هذا، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«**لا جبر ولا تفويض إنّما أمر بين أمرين**».

وفي ذلك كلام موسَّع نتركه لدروس العقائد، ولكنّ المسألة المهمّة الّتي ينبغي طرحها هنا، أنّ كثيراً من الغربيّين استغلّ قضيّة «**القضاء والقدر**» واعتبر أنّ الاعتقاد بهذه المسألة هو إحدى العلل بل العلّة الأساس في انحطاط المسلمين.

يقول «**واشنطن أروفك**» في كتابه حياة محمّد: «... **وقد عدّ بعض المسلمين مذهب الجبر القائل بأنّ الإنسان غير مختار في اجتنابه المعاصي وخلاصه من الجزاء، فلا إرادة له في هذا المجال، عدّوه منافياً للعدل والرحمة الإلهيّين، كما**

(1) سورة الطلاق، الآية 7.

(2) سورة الدخان، الآيتان 3 و 4.

**وجدت فرق تسعى لتعديل هذا المذهب المحيِّر... وهل هناك عقيدة أفضل من هذه العقيدة تستطيع أن تحرِّك الجنود؟... ولكنّ هذه العقيدة كانت تحمل في نفس الوقت سمَّها الزعاف الّذي قتل النفوذ الإسلاميّ...»**[1].

ويقول ديورانت: «**وهذا الإيمان بالقضاء والقدر جعل الجبريّة من المظاهر الواضحة في التفكير الإسلاميّ... وبفضل هذه العقيدة لاقى المؤمنون أشدّ صعاب الحياة بجنان ثابت، ولكنّها أيضاً كانت من الأسباب الّتي عاقت تقدُّم العرب وعطّلت تفكيرهم في القرون المتأخرة»**[2].

ولكن نقول إنّ كلامهم صحيح على القول بالجبرية[3]، أمّا من يعتقد اعتقاد أهل البيت عليهم السلام فإنّه لا يرد عليه مثل هذا الإشكال.

**3 - الله لم يقطع الصلة بخلقه (المدد الغيبيّ):**

هذا وفي سورة القدر تأكيد على أنّ الله تعالى لم يخلق الخلق ويتركهم، إنّما هناك تواصل بين السماء والأرض، حيث تتنزّل الملائكة إلى الأرض ويطّلعون على أحوال الناس، وهذا تسلية لقلوب المؤمنين، فليس الأمر كما قال المفوِّضة، أو كما قال اليهود: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ...﴾[4].

والآيات في الكتاب الكريم كثيرة، الّتي تؤكّد على أنّ الله عليم بخلقه.

يقول تعالى:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُ﴾[5].

(1) الشهيد مطهري، الإنسان والقضاء والقدر، ص16.
(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج13، ص5.
(3) وهو اعتقاد السنّة المتّبعين لمذهب الأشاعرة القائل بالجبر.
(4) سورة المائدة، الآية 64.
(5) سورة البقرة، الآية 235.

﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾[1].

﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾[2].

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[3].

إلى غير ذلك الكثير من الآيات الّتي تؤكّد أنّ الله مطّلع على شؤون خلقه، ولم يتركهم، وهذا ما يؤكّده الأمر بالدعاء:

﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[4].

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي ...﴾[5].

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[6].

وورد في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام:

**«إذا دعوت فظنّ حاجتك بالباب»**[7].

وورد في دعاء زين العابدين عليه السلام:

**«اللّهمّ إنّي أجد سبل المطالب إليك مشرعة، ومناهل الرجاء لديك مترعة، والاستعانة بفضلك لمن أمّلك مباحة، وأبواب الدعاء إليك للصارخين مفتوحة، وأعلم أنّك للراجين بموضع إجابة، وللملهوفين بمرصد إغاثة»**[8].

(1) سورة البقرة، الآية 77.
(2) سورة لقمان، الآية 34.
(3) سورة الحجرات، الآية 16.
(4) سورة غافر، الآية 60.
(5) سورة البقرة، الآية 186.
(6) سورة النمل، الآية 62.
(7) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج90، ص305.
(8) الإمام زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجادية، ص215، تحقيق السيد محمد باقر الموحد الأبطحي الأصفهاني، نشر مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر - قم - ايران، دار نمونة - قم، 1410هـ، دعاؤه عليه السلام، في سحر كل ليلة من شهر رمضان.

## للمطالعة

**خطبة النبيّ ﷺ في فضل شهر رمضان وأعماله**

روى الصدوق بسند معتبر عن الرضا عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«**إنّ رسول الله ﷺ خطبنا ذات يوم، فقال:**

**أيّها الناس إنّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيّامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فسلوا الله ربّكم بنيّات صادقة، وقلوب طاهرة، أن يوفّقكم لصيامه، وتلاوة كتابه، فإنّ الشقيّ من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه، جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدّقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقّروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغضّوا عمّا لا يحلّ النظر إليه أبصاركم، وعمّا لا يحلّ الاستماع إليه أسماعكم، وتحنّنوا على أيتام الناس، يُتَحنّن على أيتامكم، وتوبوا إليه من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء، في أوقات صلواتكم، فإنّها أفضل الساعات، ينظر الله (عزَّ وجلَّ) فيها بالرحمة إلى عباده، يجيبهم إذا ناجوه، ويلبّيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه..**

**أيّها الناس: إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم، ففكّوها باستغفاركم وظهوركم ثقيلة من أوزاركم، فخفّفوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنّ الله تعالى ذكره، أقسم بعزّته أن لا يعذّب المصلّين والساجدين، وأن لا يروّعهم بالنار يوم يقوم الناس لربّ العالمين..**

أيّها الناس: من فطّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر، كان له بذلك عند الله عتق رقبة، ومغفرة لما مضى من ذنوبه، قيل: يا رسول الله وليس كلّنا يقدر على ذلك فقال ﷺ: اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة، اتّقوا النار ولو بشربة من ماء فإنّ الله يهب ذلك الأجر لمن عمل هذا اليسير، إذا لم يقدر على أكثر منه..

يا أيّها الناس: من حسّن منكم في هذا الشهر خلقه، كان له جواز على الصراط، يوم تزلّ فيه الأقدام، ومن خفّف في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه، خفّف الله عليه حسابه، ومن كفّ فيه شرّه، كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه، وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه، قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه، ومن تطوّع فيه بصلاة، كتب الله له براءة من النار، ومن أدّى فيه فرضاً، كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة عليه ثقّل الله ميزانه يوم تخفّ الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن، كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور..

أيّها الناس: إنّ أبواب الجنان في هذا الشهر مفتّحة، فسلوا ربّكم أن لا يغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلقة، فسلوا ربّكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة، فسلوا ربّكم أن لا يسلّطها عليكم..»[1].

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج93، ص358.

5

# سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ
ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ
ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ
۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا
هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

- القارعة: من القرع وهو الطرق الشديد مع إحداث صوت شديد.
- الفراش: جمع فراشة وهي الحشرة المعروفة.
- المبثوث: المتفرق المنتشر.
- العهن: الصوف المصبوغ.
- المنفوش: المنثور.
- موازين: جمع ميزان وهو وسيلة لوزن الأجسام.
- أمّه: مأواه وملجأه.
- هاوية: جهنّم.

## هويّة السورة:

نزلت هذه السورة في مكّة المكرّمة وعدد آياتها إحدى عشرة آية.

## محتوى السورة وفضيلتها

تتنـاول هـذه السورة بشكل عـامّ، المعاد، ومقدّماتـه، بتعابير حـادّة، وبيان مؤثّر. وإنـذار صريح وواضـح، حيث تصنّف الناس، يوم القيامة، إلـى صنفين أو جماعتين: جماعه تكون أعمالها ثقيلة في ميزان العدل الإلهيّ فتحظى جزاءً لذلك، بحياة راضية سعيدة في جوار الرحمة الإلهيّة، وجماعه أعمالها خفيفة الوزن، فتعيش في نار جهنّم الحادّة المحرقة.

وقـد اشتـقّ اسم هذه السـورة، أيّ «**القارعـة**» من الآية الأولى فيهـا. وفي فضيلتها يكفّي أن نقرأ الحديث الشريف المرويّ عن الإمام الباقر عليه السلام:

«**مـن قـرأ القارعـة آمنه الله من فتنـة الدجال أن يؤمن به، ومـن قيح جهنّم يوم القيامة إن شاء الله**»[1].

(1) الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص530.

## في كنف السورة

**1 - القرآن واليوم الآخر:**

السورة المباركة ككثير من سور القرآن تتحدّث عن مشاهد من يوم القيامة. ولو أجلت بصرك في القرآن العظيم لرأيت مدى اهتمامه بقضيّة اليوم الآخر.

فلقد كُرِّرت الأمور الّتي تتعلّق باليوم الآخر كثيراً؛ فمثلاً يوم القيامة كُرِّر تقريباً 70 مرّة، اليوم الآخر 26 مرّة، الآخرة والدار الآخرة 117 مرّة، جنّة وجنّات 141 مرّة، جهنّم 77 مرّة، إلى غير ذلك.

ولقد عنّي القرآن العظيم بمشاهد القيامة: البعث والحساب، النعيم والعذاب، حتّى عاد اليوم الآخر من خلال بلاغة القرآن مصوّراً محسوساً، وحيّاً متحركاً، وبارزاً شاخصاً، وعاش المسلمون في هذا العالم عيشة كاملة: رأوا مشاهده، وتأثّروا بها، وخفقت قلوبهم واقشعرّت جلودهم وسرى في نفوسهم الفزع مرّة، وعاودهم الاطمئنان أخرى، ولفحهم من النار شواظ، ورفّ إليهم من النار نسيم، فأصبحوا والنار كمن قد رأوها فهم فيها معذّبون، وباتوا والجنّة كمن قد عاينها فهم فيها منعّمون.

وما اهتمام القرآن باليوم الآخر إلّا لما يحمله الإيمان باليوم الآخر من أهمّيّة لحياة الأمم والأفراد، حتّى أنّ القرآن الكريم قرن كثيراً بين الإيمان بالله واليوم الآخر، ممّا يشير إلى أنّ الإيمان بالله لا يكفّي الإنسان (الفرد والأمّة) في كماله الروحيّ وسكينته النفسية وصلاحه الأخلاقيّ والسلوكيّ، ما لم يكن يقترن بالإيمان باليوم الآخر.

يقول تعالى في كتابه العزيز:

﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

(1) سورة البقرة، الآية 232.

﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1].

إلى كثير من الآيات الّتي تقرن الإيمان بالله مع الإيمان باليوم الآخر.

**2 - اليوم الآخر اعتقاد غالب البشريّة:**

إنّ المراجع للتاريخ الإنسانيّ، من البدائيّين إلى السومريّين إلى البابليّين إلى الآشوريّين فالمصريّين فالهنود فالصينيّين فاليابانيّين فاليونانيّين فالرومانيّين فالفرس، إلى أن يأتي إلى اليهودية والمسيحية وبالطبع الإسلام، يرى بوضوح أنّ البشريّة تؤمن بيوم آخر؛ وإن اختلفت في التفاصيل. وهنا نأتي على ذكر المسيحية في هذا المجال كمثال على اهتمام البشريّة بموضوع اليوم الآخر.

**3 - المسيحية واليوم الآخر:**

لا شكّ في اعتقاد المسيحية باليوم الآخر فعندها «**ملكوت الربّ**» «**والحياة الأبديّة**» للنعيم. وعندها جهنّم والنار، و«**الظلمة**» للعذاب. وهناك «**يوم الدين**» يوم يأتي ابن الإنسان (المسيح) مع ملائكة الله. وهنا نورد بعضاً ممّا جاء في العهد الجديد:

جاء في الإصحاح 16 من انجيل متّى «**فإنّ ابن الإنسان سوف يأتي... مع ملائكته (الله)، وحينئذ يجازى كلّ واحد حسب عمله. الحقّ أقول لكم...**».

وجاء في الإصحاح 12: «**أقول لكم: إنّ كلّ كلمة بطالة يتكلّم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين**». إلى غير ذلك، إلّا أنّه لا يقارن بعدد ما ورد في القرآن ولا ببلاغته.

**4 - الثواب والعقاب:**

ورد الكثير في القرآن الكريم حول الثواب والعقاب في اليوم الآخر، وممّا ورد ما في هذه السورة المباركة:

(1) سورة آل عمران، الآية 114.

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾.

**ولكن هنا ملاحظة:**

صحيح أنّ الإيمان بالآخرة وبالتالي الثواب والعقاب فيها مهمّ وأساس ولكن إذا لم يتبعه أمور تعطّل فعالية هذا الإيمان.

فمثلاً المسيحية تؤمن بالثواب والعقاب، إلّا أنّه دخلت أمور عطّلت هذا القانون الإلهيّ العادل.

من هذه الأمور مسألة «صلب المسيح» وأنّه صُلب ليفدي النّاس من الخطيئة، أو مسألة «الاعتراف عند الكاهن» بحيث إذا اعترف المذنب تغفر ذنوبه، أو مسألة «المسح الأخير» حيث يستمع القسّ إلى اعترافات المسيحيّ وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، ويمنحه المغفرة الّتي تنجيه من النار، ويمسحه حتّى يطهر من الخطيئة ويصبح مستعداً للبعث أمام الحكم العدل، إلى غير ذلك من المسائل.

هذه المسائل تعطّل قانون الثواب والعقاب، وتشجّع الناس على الخطيئة، وهذا ما نراه في المجتمع المسيحيّ، أما الإسلام فليس عنده هذه الأمور ولا يؤمن بها. نعم عنده التوبة والغفران من الله والشفاعة، ولكنّ هذه لا تشبه تلك وإن كان هناك أناس يفهمونها خطأً، حيث يدخل الشيطان وتزيّيناته والنفس وهواها لكي يسوّف الإنسان بالتوبة إلى آخر العمر، مع أنّ التوبة في آخر العمر وعند تراكم الذنوب أمر صعب، وحيث يمنّي الإنسان نفسه بشفاعة الشافعين في حين أنّه لم يعرف حقيقة الشفاعة.

ألا تعرف أنّه قد لا تشملك شفاعتهم عليهم السلام لأنّ الانغماس في المعاصي يجعل القلب بالتدريج مظلماً ومنكوساً وربما يصل الإنسان إلى الكفّر، والكافر لا شفاعة له؟

ثمّ ألا تعلم أنّه إذا كانت أثقال الذنوب كثيرة يمكن ألّا يشفع الشافعون لك في البرزخ والقبر، ويمكن أن لا تصل شفاعتهم في يوم القيامة إلّا بعد مدّة طويلة، كما ورد في بعض الأحاديث؟

ولا تستمع للشيطان ونفسك الأمّارة حيث توعد بالرحمة الواسعة والمغفرة الكريمة لأرحــم الراحميــن، فتتهاون وتنزلق فــي المعاصي، في حيــن أنّ اللّه رحيم في موضع الرحمــة وشديد العقاب في موضع الشــدّة، فليس صحيحاً أن ترجو رحمة اللّه فحسب دون أن تخافه وتخشى عقابه، وكما نقرأ في دعاء الإفتتاح:

«**أيقنت أنّك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة وأشدّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة**»[1].

فــإذن ينبغــي فهم مسألة التوبة وغفــران اللّه ورحمته والشفاعــة والاستغفار فهماً صحيحاً، وإلّا كانت الآخرة والثواب والعقاب لا أثر له.

(1)الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد،ص578.

## للمطالعة

### نقطة هامّة

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره:

علــى سالك طريق الهدايــة والنجاة الانتباه إلــى نقطة هامّة، هــي أنَّ التوفيق إلى التوبــة الصحيحــة الكاملة مع توفير شرائطها من الأمــور الصعبة، وقليلاً ما يستطيع الإنســان أن يصل إلى هذا المقصد. بل إنّ اقتراف الذنوب وخاصّة المعاصي الكبيرة تجعل الإنسان غافلاً عن ذكر التوبة نهائياً. وإذا ما أثمرت وقويت شجرة المعاصي في مزرعــة قلــب الإنسان وتحكّمت جذورها، ستكون لها نتائــج وخيمة، منها حثّ الإنسان علــى الانصــراف كليّاً عن التفكير في التوبة، وإذا تذكّرهــا أحياناً تكاسل في إجرائها وأجّلها وقال: «اليوم أو غداً وهذا الشهر أو الشهر المقبل».

ويخاطــب نفسه قائلاً: إنني أتوب آخر العمر وأيّــام الشيخوخة توبة صحيحة؛ وإنه يغفل عن أنّ هذا مكر مع الله ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾. لا يتوقّع الإنسان أنّه بعد أن تقوى جذور الذنوب في نفسه، يستطيع أن يتوب أو يقوم بتوفير شروط التوبة، إنّ أفضل أيّام التوبــة وربيعها هي فترة أيّام الشباب. لأنّ الذنوب أقلّ وشوائب القلب وظلمات الباطل أخفّ، وشروط التوبة أسهل وأيسر. وقد يكثر في سنّ الشيخوخة حرص الإنسان وطمعه وحبّه للمال ويزداد طول أمله وقد أثبتت التجربة ذلك.

والحديث النبويّ الشريف[1] أفضل شاهد على هذه المقولة.

وإذا افترضنا أنّ الإنسان يستطيع القيام بهذا العمل (التوبة) في سنّ الشيخوخة. فما هو الضمان للوصول إلى سنّ الشيخوخة وعدم إدراكه الأجل المحتوم أيّام الشباب علــى حين غرّة، وهــو مشغول بالذنوب والعصيــان؟ إنّ انخفاض عــدد المسنّين دليل علــى أنّ المــوت أقرب إلى الشباب منه إلى الشيوخ، إنّنــا في المدينة الّتي تحتوي على خمسين ألف نسمة لم نجد خمسين شيخاً يناهز عمر كلّ منهم ثمانين عاماً.

(1) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يهرم بني آدم ويبقى معه اثنتان، الحرص والأمل»، الشيخ الصدوق، الخصال، ج1، ص73.

فيــا أيّهــا العزيز كن على حذر من مكائد الشيطان ولا تمكر على اللّه ولا تحتل عليه بأن تقول أعيش خمسين عاماً أو أكثر مع الأهواء، ثمّ أستغفر ربّي لدى الموت وأستدرك الماضي، لأنّ هذه أفكار واهية.

إذا سمعـت أو علمـت من الحديث الشريف أنّ اللّه سبحانــه وتعالى قد تفضّل على هذه الأمّة بتقبّل توبتهم قبل مشاهدة آثار الموت أو عند الموت وذلك صحيح[1]، ولكن هيهات أنّ تتحقّق التوبة من الإنسان في ذلك الوقت.

هــل تظــن أنّ التوبة مجرد كلام يقال؟ إنّ القيام بالتوبة لعمل شاقّ. إنّ الرجوع إلى اللّه والعــزم على عدم العــودة إلى الذنب يحتــاج إلى رياضة علميّة وعمليــة، إذ نادراً مــا يحدث للإنسان أن يفكّر وحــده بالتوبة أو يتوفّق إليها أو يتوفّـق إلى توفير شرائط صحّة التوبة وقبولها أو إلى توفير شرائط كمالها. إذ من الممكن أن يدركه الموت قبل التفكيــر فــي التوبة أو إنجازها وينقله من هذه النشأة مــع المعاصي الّتي ينوء بها ومع ظلمــات الذنوب اللامتناهية، وفي ذلك الوقت يعلم اللّه وحده المصائب والمحن الّتي سوف يواجهها.

ليس من السهل أن يجبر الإنسان في العالم الآخر معاصيه، إذا كان من أهل النجاة وممّن عاقبة أمره سعيدة، إذ لا بدّ من متاعب وضغوطات ونيرانٍ حتّى يصبح الإنسان أهلاً لرحمة أرحم الراحمين.

إذاً، أيّهــا العزيــز! عجّل في شــدّ حيازيمك، وإحــكام عزيمتك وقوتّــك الحاسمة، وأنــت فــي أيّام الشباب أو على قيد الحياة في هذه الدنيا وتب إلى اللّه، ولا تسمح لهذه الفرصة الّتي أنعم اللّه بها عليك أن تخرج من يدك ولا تعبأ بتسويف الشيطان ومكائد النفس الأمّارة.

---

(1) روى الإمام الصادق عليه السلام عن رسول اللّه ﷺ: «من تاب قبل موته بسنة قبل اللّه توبته ثمّ قال: إنّ السنة لكثير، من تاب قبل موته بشهر قبل اللّه توبته، ثمّ قال: إنّ الشهر لكثير. من تاب قبل موته بجمعة، قبل اللّه توبته. ثمّ قال: إنّ الجمعة لكثير. من تاب قبل موته بيوم، قبل اللّه توبته. ثمّ قال: إنّ اليوم لكثير، من تاب قبل أن يعاين قبل اللّه توبته» الشيخ الكليني، أصول الكافي، ج2، ص44.

6

# سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾
ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ
الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ
النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾.

- ألهاكم: الإلهاء الصرف إلى اللهو، واللهو الانصراف إلى ما يدعو إليه الهوى.
- التكاثر: التفاخر والمباهاة.
- اليقين: العلم الخالي من الشكّ.
- عين اليقين: محض اليقين.

## هويّة السورة:

هذه السورة مكّيّة وآياتها ثمانية.

## محتوى السورة وفضيلتها

يعتقد كثير من المفكّرين أنّ هذه السورة نزلت في مكّة، وما فيها من ذكر للتفاخر والتكاثر، إنّما يرتبط بقبائل قريش الّتي كانت تتباهى على بعضها بعضاً بأمور وهمية.

وبعضهم كالمرحوم الطبرسيّ في مجمع البيان يرى أنّها مدنيّة؛ وما فيها من ذكر للتفاخر قد ورد بشأن اليهود، أو طائفتين من الأنصار. لكنّ مكّيّتها أصحّ لشبهها الكبير بالسور المكية. هذه السورة تتناول في مجموعها تفاخر الأفراد على بعضهم بعضاً، استناداً إلى مسائل موهومة وتذمّ ذلك وتلومهم عليه ثمّ تحذّرهم من حساب المعاد وعذاب جهنّم وممّا سيسألون يوم ذاك عن النِّعم الّتي منَّ اللّه بها عليهم. اسم السورة... من الآية الأولى فيها.

وفي فضيلة تلاوتها ورد عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

**«من قرأها لم يحاسبه الله بالنعيم الّذي أنعم عليه في دار الدنيا وأُعطيَ من الأجر كأنّما قرأ ألف آية»**[1].

---

(1) الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص532.

## في كنف السورة

السورة المباركة فيها مواعظ جليلة تستأهل منّا التوقّف عندها والتأمّل فيها:

1 - **الإنسان وغفلته عمّا بعد الدُّنيا (الإنسان اللاهي والمتكاثر):**

لقد ورد الكثير من الآيات في القرآن الكريم الّتي تشير إلى أنّ كثيراً من الناس يعيشون الغفلة عن الآخرة ويستغرقون في الدنيا وغرورها، بحيث يذوبون فيها، فلا ينظرون إلّا إليها، فتعميهم عن الحقيقة الّتي تفيد أنّ الدنيا ليست نهاية المطاف، إنّما هي قنطرة يعبرها الإنسان إلى عالم آخر.

ومن الآيات المعبِّرة الّتي تشير إلى هذه الحقيقة:

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ ﴾[1].

هذه الآية الكريمة تؤكّد حقيقة غفلة الإنسان عبر مراحل عمره الخمسة.

حيث في البداية مرحلة الطفولة، والحياة في هذه المرحلة عادة مقترنة بحالة من الغفلة والجهل واللعب.

ثمّ مرحلة المراهقة حيث يأخذ اللهو مكان اللعب، وفي هذه المرحلة يكون الإنسان لاهثاً وراء الوسائل والأمور الّتي تلهيه وتبعده عن الأعمال الجدّيّة.

والمرحلة الثالثة هي مرحلة الشباب والحيويّة والحبّ والعشق والزينة.

وإذا ما تجاوز الإنسان هذه المرحلة فإنّه يصل إلى المرحلة الرابعة حيث تنبعث في نفسه إحساسات علوّ المقام والتفاخر.

وأخيراً يصل إلى المرحلة الخامسة حيث يفكّر فيها بزيادة المال والأولاد وما إلى ذلك.

فنرى أنّ الإنسان غالباً، إلّا من رحم الله، يعيش الغفلة في مراحل عمره كلّها، ولا يترك لله تعالى، ولمعرفة حقائق الوجود، وللتفكير بالمصير النهائيّ للوجود، أيّ مجالٍ وأيّ فسحة.

---

(1) سورة الحديد، الآية 20.

**والآية الّتي نحن بصدد تفسيرها تعيش في هذا الجوّ:**

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾

وهــي تشير أكثر مــا تشير إلى المرحلة الخامسة من عمــر الإنسان حيث يلهيه جمــع الأموال والأولاد والتفاخــر بالأنساب والأقوام. ولقد عُــرف عن العرب أنّهم كانــوا يتفاخــرون بالأموال والأنســاب، ويؤسّسون حياتهم علــى أسس قبلية. وهذه الآيــة كأمثالها تريــد أن تُخرج من النفوس هــذه العصبية القبليــة، والتفاخر بها وبالحطام.

وهنــا لفتــة مهمّة من الآية الكريمــة، تشير إلى أنّ الإنسان يستيقــظ من غفلته إمّا حين موتــه: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾[1]، وإمــا حيــن زيارتــه للمقابــر حيث يتذكّــر أنّه سيموت يوماً ما، فيستيقظ من غفلته شيئاً ما، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**اذكروا هادم اللذّات**»[2] أيّ الموت.

وقد احتمل المفسّرون معنيَيْن:

أ - إنّكم ذهبتم إلى المقابر لتستكثروا أنفس قبيلتكم.

ب - إنّكم انشغلتم بالتكاثر والتفاخر حتّى لحظة موتكم وورودكم إلى المقابر.

وللإمام عليّ عليه السلام كلام بعد أن تلا:

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾.

قال: «**يا له أمر ما أبعده، وزوراً ما أغفله، وخطراً ما أفظعه، لقد استخلوا منهم أيّ مدّكر وتناوشوهم من مكان بعيد، أفبمصارع آبائهم يفخرون؟ أو بعديد الهلكى يتكاثــرون؟ ترتجعــون منهم أجساداً خــوت، وحركات سكنــت، ولأن يكونوا عبراً أحقّ**

(1) سورة ق، الآيات: من 19 الى 22.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج6، ص133.

**من أن يكونوا مفتخراً»**[1].

فالموت خير واعظ لمن يتّعظ، ومن هنا ورد استحباب زيارة القبور، عسى أن يقوم الإنسان من سكر الغفلة، غفلة الدنيا والاستكثار بالأموال والأولاد، والتفاخر بالأحساب والأنساب.

## 2 - إشارة إلى عذاب القبر:

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

ورد العديد من الآيات القرآنية الكريمة الّتي تشير إلى أنّ الإنسان لا يصبح عدماً بعد موته، بل له حياة أخرى بعد الموت، إنّها حياة البرزخ، ومن هذه الآيات:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[2].

وذهب بعض المفسّرين إلى أنّ:

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.

الأولى إشارة إلى عذاب القبر والبرزخ، والثانية إلى عذاب القيامة.

في التفسير الكبير للفخر الرازي عن زرّ بن حبيش قال: كنّا في شكّ من عذاب القبر حتّى سألنا عليّاً فأخبرنا أنّ هذه الآية دليل على عذاب القبر.

## 3 - مراتب اليقين:

من الواضع أنّ المؤمنين ليسوا على درجة واحدة من الإيمان بل بعضهم لا يطلق عليهم إلّا الإسلام وما آمنت قلوبهم:

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ...﴾[3].

---

(1) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج2، ص205، شرح الشيخ محمد عبده، نشر دار الذخائر - قم - ايران، مطبعة النهضة - قم، 1412 هـ، 1370ش، ط1، من كلام له عند تلاوته ألهاكم التكاثر.

(2) سورة المؤمنون، الآيتان 99 و 100.

(3) سورة الحجرات، الآية 14.

ولذلـك ورد العديـد من الروايات الّتـي تشير إلى هذه الحقيقـة، فقد جعل الإمام الباقـر عليه السلام الإيمان أعلـى من الإسلام درجـة، والتقوى أعلى مـن الإيمان درجة، واليقين أعلى من التقوى درجة، ثمّ يقول:

«**ولم يقسم بين الناس شيء أقلّ من اليقين**»[1].

ورغـم ما يستفاد مـن الروايات أنّ اليقين هو أعلى مراحل الإيمان، فإنّ له مراتب، وهي ثلاث:

أ- **علم اليقين**: وهو الّذي يحصل للإنسان عند مشاهدته الدلائل المختلفة، كأن يشاهد دخاناً فيعلم علم اليقين أنّ هناك ناراً.

ب- **عين اليقين**: وهو يحصل حين يصل الإنسان إلى درجة المشاهدة كأن يرى بعينه مثلاً النار.

ج- **حقّ اليقين** ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[2]: وهو كأن يدخل الإنسان النار بنفسه ويحسّ بحرقتها، وهذه أعلى مراحل اليقين.

د- **السؤال عن النعيم**: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[3]: قيل إنّ النعيم المسؤول عنه هو نعمة السلامة، وفراغ البال، وقيل: إنّه الصحّة والسلامة والأمن.

وقيل: الآية تشمل كلّ هذه النِّعم.

وروي أنّ أبا حنيفة سأل الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير هذه الآية فقال عليه السلام:

**ما النعيم عندك يا نعمان؟**

قال: القوت من الطعام والماء البارد.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص52، ح5.
(2) سورة الواقعة، الآية 95.
(3) سورة التكاثر، الآية 8.

فقال عليه السلام:

**«لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتّى يسألك عن كلّ أكلة أكلتها وشربة شربتها ليطولنّ وقوفك بين يديه. قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال: نحن أهل البيت النعيم الّذي أنعم الله بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا ألّف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءً وبنا هداهم الله للإسلام، وهي النعمة الّتي لا تنقطع والله سائلهم عن حقّ النعيم الّذي أنعم الله به عليهم وهو النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعترته»**[1].

من كلّ هذه الروايات الّتي يبدو أنّها مختلفة في ظاهرها نفهم أنّ النعيم له معنى واسع جداً يشمل كلّ المواهب الإلهيّة المعنويّة مثل: الدين والإيمان والإسلام والقرآن والولاية لأهل البيت عليهم السلام، وأنواع النِّعم المادّيّة الفرديّة منها والاجتماعيّة:

﴿ وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾[2].

(1) الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص535.

(2) سورة الصافات، الآية 24.

## للمطالعة

**الإمام الخمينيّ قدس سره في بيان نورانيّ**

إنّ الحقّ المتعالي قد جعل الرَّوح والراحة في اليقين والرضا والهمَّ والحزن في الشكّ والسخط، وذلك على أساس القسط والعدل.

لا بدّ وأن تعرف أنّ الرَّوح والراحة وكذلك الهمّ والحزن بسبب ذكر هذه الأمور أثر تقدير الأرزاق وتقسيمها يعودان إلى الأمور الدنيويّة وكسب العيش وطلب الرزق، وإن كان إرجاعهما إلى الأمور الأخروية على أساس بيان آخر، أيضاً صحيحاً.

إذن، فاعلم أنّ الإنسان الّذي يعتقد بالحقّ وتقديره اعتقاداً يقيناً ويعتمد على الركن الركين القادر بصورة مطلقة الّذي يقرّر الأمور بأسرها على المصالح الغيبية، وأنّ له سبحانه الرحمة الكاملة المطلقة وأنّه الرحيم والجواد المطلق ومن المعلوم أنّه مع مثل هذا اليقين تذلّل الصعاب وتهون كلّ المصائب، ويختلف كثيراً طلبه لمعيشته عن طلب أهل الدنيا وأهل الشكّ والشرك.

إنّ الّذين يعتمدون على الأسباب الظاهريّة يعيشون دائماً عند طلب الرزق في حالة من القلق والاضطراب ولو اصطدموا بمشكلة، لعظمت عندهم لأنّهم لا يجدونها محفوفة بالمصالح الغيبية.

وخلاصة الكلام إنّ من يرى سعادته، في تحصيل هذه الدنيا، يواجه في طلبه هذا الآلام والعناء وتسلب عنه الراحة والبهجة وتستنزف قواه وطاقاته في هذا الطلب كما نرى أنّ أهل الدنيا دائماً في تعب ونصب، وأنّهم لم يتمتّعوا باطمئنان في روح واستقرار في الجسم وإذا حلّت بهم مصيبة خارت قدراتهم وحيويتهم وزال جلدهم وصبرهم أمام الحوادث الّتي تداهمهم وهذا لا يكون إلّا نتيجة شكّهم وعدم إيمانهم بالقضاء الإلهيّ وعدله. فتكون هذه الأمور من الحزن والهمّ والتعب نتيجة لهذا التزلزل.

7

# سُورَةُ العَصۡرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ
بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾.

- العصر: هو الطرف الأخير من النهار أو هو الزمان.
- الخاسرون: الخائبون.
- الحقّ: ما أرشد إليه دليل قاطع أو عيان ومشاهدة.

## هويّة السورة:

نزلت هذه السورة في مكّة، عدد آياتها ثلاثة.

## محتوى السورة وفضيلتها

المعـروف أنّ هذه السـورة مكّيّة واحتمل بعضهـم أنّها مدنيّة ويشهـد على مكّيّتها لحنها ومقاطعها القصيرة.

بلغـت شمولية هذه السورة درجة حدت ببعض المفسّرين إلى أن يرى فيها خلاصة كلّ مفاهيـم القرآن وأهدافه. بعبـارة أخرى هذه السورة رغـم قصرها تقدّم المنهج الجامـع والكامـل لسعادة الإنسان. تبـدأ السورة من قَسم عميـق المحتوى بالعصر - وسيأتـي تفسيـره - ثمّ تتحدّث عن خُسـران كلّ أبناء البشر خسرانـاً قائماً في طبيعة حياتهـم التدريجية ثمّ تستثني مجموعة واحدة من هذا الأصل العامّ. وهي ذات منهج لـه أربع مواد: الإيمـان، والعمل الصالـح والتواصي بالحقّ والتواصـي بالصبر. وهذه الأصول الأربعة هي في الواقع المنهج العقائديّ والعمليّ الفرديّ والاجتماعيّ للإسلام.

في فضيلة هذه السورة ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

**«مـن قرأ «والعصر» فـي نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه ضاحكاً سنّه، قريرة عينه حتّى يدخل الجنّة»**[1].

---

(1) الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص545.

وواضح أنّ كلّ هذه الفضيلة وهذه البشرى نصيب من طبّق الأصول الأربعة المذكورة في حياته، لا أن يقنع فقط بقراءتها.

## في كنف السورة

### 1 - **العصر وأهميَّة الزمن:**

العصــر في الأصل الضغــط، وإنّما أطلق علــى وقت معيّن من النهــار لأنّ الأعمال فيــه مضغوطة، ثمّ أطلقت الكلمة على مطلق الزمان ومراحل تاريخ البشريّة، أو مقطع زمنــيّ معين، كأن نقول عصــر الجاهلية أو عصر الإسلام. ولذلك ذكر المفسّرون في معنى العصر احتمالات كثيرة:

أ – قيل: إنّه وقت العصر من النهار.

ب– إنّه كلّ الزمان وتاريخ البشريّة المملوء بالدروس والعبر.

ج– إنّه مقطع خاصّ من الزمن مثل عصر البعثة النبوية المباركة، أو عصر قيام المهديّ المنتظر عجّل الله فرجه الشريف.

د– بعضهم أرجعها إلى أصلها اللّغوي وقال: إنّ القَسم في الآية بأنواع الضغوط والمشاكل الّتي تواجه الإنسان في حياته، وتبعث فيه الصحوة وتوقظه من رقاده، وتذكره بالله سبحانه، وتربّي فيه الاستقامة.

هـ– وقيل: إنّها إشارة إلى «**الإنسان الكامل**» الّذي هو في الواقع عصارة عالم الوجود والخليقة.

و– وقيل: إنّ الكلمة يراد بها صلاة العصر، لأهمّيّتها الخاصّة بين بقية الصلوات، لأنّها الصلاة الوسطى الّتي أمر الله أن يحافظ عليها.

ومهما يكن من شيء، فإنّ الله سبحانه وتعالى يقسم كثيراً بالزمان، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ (1).

---

(1) سورة الضحى، الآية 1.

وفي قوله تعالى:

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ [1].

ومـا تلك الأقسام بالزمان إلّا للإشارة إلى أهمّيّة الزمان والعُمر في حياة الإنسان. فعليه أن يعرف جيّداً كيف يستغلّ عمره في الانتفاع لدنياه وآخرته، ولا يقتله في مضرّة دنيـاه وآخرتـه. وإذا تطلّع الإنسان إلى الزمـان الّذي يعيشه لرآه قصيـراً جدّاً، إلّا أنّ غفلة الإنسان عن الآخرة، توهمه أنّه سيعيش إلى الأبد.

لـو عرف الإنسان كيف تتبدّل خلايـا جسده، وكيف يستهلك كلّ يوم آلاف الخلايا من مخّـه، دون أن يستعيضـ عنها شيئاً، وكيف يتسارع ما حوله مـن أشياء في سبيل الفناء، لـو عرف الإنسان أنّ عمره بالقياس إلى عمر الأرض الّتي يعيش عليها اليوم يكاد لا يكون شيئـاً مذكوراً، ولو عرف أنّ العمر الّذي فات لا يعود، فما فات فات، واليوم الّذي أنت فيه سيفوت، ولو عرف أنّه مسؤول عن هذا العمر الّذي سيعيشه: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾[2].

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يسأل الله (عز وجل) عـن أربـع: عـن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبـلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن حبنا أهل البيت**»[3]، لو عرف كلّ ذلك، لاستغلّ كلَّ ثانية بل كلّ جزء ثانية في رضا اللّه تعالى، ولما خسر عمره.

## 2 - طول الأمل وخسران العمر:

مـن المناسب هنا الحديث عن طول الأمل لارتباطه بخسران العمر؛ لأنّ من يطول أمله ويحسب أنّه سيعيش طويلاً سيقع بالتقصير في العمل فيخسر عمره.

(1) سورة المدثر، الآية 34.

(2) سورة الصافات، الآية 24.

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج7، ص258.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

**«إنّما أخاف عليكم اثنتين: اتّباع الهوى وطول الأمل، أمّا اتّباع الهوى فإنّه يصدّ عن الحقّ وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة»**(1).

وممّا يشير إلى خطورة طول الأمل، كون هذه الصفة من صفات الكافرين، يقول تعالى واصفاً لليهود:

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(2).

وقد أوصى أولياء الله بقصر الأمل، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

**«إذا أصبحت فلا تحدّث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح، وخذ من صحّتك قبل سقمك وحياتك قبل موتك، فإنّك لا تدري ما اسمك غداً»**(3).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم بعدما سمع أنّ أسامة اشترى شيئاً بمائة دينار إلى شهر:

**«إنّ أسامة لطويل الأمل. والّذي نفس محمد بيده ما طرفت عيناي إلّا ظننت أنّ شفريَّ لا يلتقيان حتّى يقبض الله روحي، ولا رفعت طرفي وظننت أنّي خافضة حتّى أُقبض، ولا لقمت لقمة إلّا ظننت أنّي لا أسيغها حتّى أغصّ بها من الموت. ثمّ قال: يا بني آدم: إن كنتم تعقلون فعدّوا أنفسكم من الموتى، والّذي نفسي بيده، إنّ ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين»**(4).

وممّا يعالج طول الأمل ذكر الموت الايجابيّ، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

**«أكثروا ذكر هادم اللذات»**.

قيل: وما هو يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

**«الموت، فما ذكره عبد على الحقيقة في منعة إلّا ضاقت عليه الدنيا، ولا في شدّة إلّا اتّسعت عليه»**(5).

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج67، ص88.

(2) سورة البقرة، الآية 96.

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج74، ص75.

(4) م.ن، ج70، ص166.

(5) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج6، ص233.

وفي ذكر الموت الايجابيّ أحاديث كثيرة.

«**اللّهـمّ إنّي أسألك التجافي عن دار الغـرور، والإنابة إلى دار السرور والاستعداد للموت قبل حلول الفوت**»[1].

## 3 - حتّى لا تكون من الخاسرين:

إنّ السعـادة الأخرويّـة (والدنيويّة طبعاً) هي في الإيمـان بالله وبأنبيائه ورسول الله ﷺ وتعاليمـه واليوم الآخر والثواب والعقاب، ليسـ الإيمان فحسب، بل العمل الصالح أيضاً.

لذلك يقول تعالى في سورة أخرى:

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾[2].

جـاء فـي تفسير مجمع البيـان وتفاسير أخـرى، أنّ المسلمين وأهـل الكتاب كانوا يتفاخرون بعضهم على بعض، فكان أهل الكتاب يتباهون بكون نبيّهم قد بُعث قبل نبيّ الإسـلام وأنّ كتابهـم أسبق من كتاب المسلمين، بينمـا كان المسلمون يفتخرون على أهـل الكتاب بأنّ نبيّهـم هو خاتم الأنبياء عليهم السلام، وأنّ كتابه هـو آخر الكتب السماويّة وأكملها.

وفي رواية أخرى:

أنّ اليهـود كانـوا يدّعون أنّهم هم شعب الله المختار، وأنّ نـار جهنّم لا تمسّهم إلّا أياماً معدودة كما ورد في سورة البقرة، الآية 80:

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ...﴾.

---

(1) الشيخ القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ص366، تحقيق السيد محمد رضا النوري النجفي، نشر مكتبة العزيزي، قم – إيران، دار البعثة، قم، 1385س، 2006م، ط3، دعاء الليلة السابعة والعشرين.

(2) سورة النساء، الآيتان 123 – 124 .

وأنّ المسلميــن كانوا يقولون، ردّاً على اليهود أنّهم هم خير الأمم، لأنّ اللّه قال في شأنهم:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...﴾[1].

ولذلــك نزلــت الآيتــان 123 و 124 مــن سورة النســاء، ودحضتا كلّ تلــك الدّعاوى وحدّدتا قيمة كلّ شخص بما يقوم به.

فليســت قيمتــك أيّها المسلم فــي أنّك تنتمي إلــى الإسلام علــى المستوى الاسميّ فحسب، إنّما قيمتك عند اللّه فيما تعمل في هذه الحياة وتلتزم وتطبّق من هذا الإسلام العزيز.

(1) سورة آل عمران، الآية 110.

## للمطالعة

### وصيّة النبيّ ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام

كان في وصيّة النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام أن قال:

**«يا عليّ أوصيك في نفسك بخصالٍ فاحفظها عنّي».**

ثمَّ قال ﷺ:

**«اللّهمّ أعِنه.**

**أمّا الأولى فالصدق ولا يخرجنَّ من فيك كذبة أبداً.**

**والثانية الورع ولا تجترئ على خيانةٍ أبداً.**

**والثالثة الخوف من الله عزَّ ذكره كأنّك تراه.**

**والرابعة كثرة البكاء من خشية الله تعالى يُبنى لك بكلّ دمعة ألف بيت في الجنّة.**

**والخامسة بذلك مالك ودمك دون دينك.**

**والسادسة الأخذ بسنّتي في صلاتي وصومي وصدقتي.**

**أمّا الصلاة فالخمسون ركعة وأمّا الصيام فثلاثة أيّام في الشهر، الخميس في أوّله والأربعاء في وسطه والخميس في آخره وأمّا الصدقة فجهدك حتّى تقول قد أسرفت ولم تسرف وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الزوال وعليك بصلاة الزوال وعليك بصلاة الزوال وعليك بتلاوة القرآن على كلّ حالٍ وعليك برفع يديك في صلاتك وتقليبهما. وعليك بالسواك عند كلّ وضوء وعليك بمحاسن الأخلاق فارتكبها ومساوئ الأخلاق فاجتنبها فإن لم تفعل فلا تلومَنَّ إلّا نفسك[1]».**

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج74، ص69.

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره في معرض شرحه لهذه الوصيّة المحمّديّة:

«**يتّضح من نواحٍ عديدة من هذا الحديث الشريف أنّ هذه الوصايا الّتي أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كانت عنده صلوات الله وسلامه مهمّة جداً وهذه النواحي هي:**

**إحداها**: توجيه الوصيّة نحو أمير المؤمنين عليه السلام مع أنّه سلام الله عليه أسمى من أن يتساهل في الأحكام الشرعية والأوامر الإلهيّة ولكنّ هذه الأمور لدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت هامّة جداً فلم يحجم عن الوصيّة بها.

ومن المتعارف أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يوصي بشيء إلّا وقد كان يعتني به ويراه مهماً. فلأجل إظهار أهمّيّته يوصي به حتّى لمن يعرف أنّه لا يتهاون به.

أمّا احتمال أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قد أوصى لأمير المؤمنين عليه السلام حتّى يُفهم الآخرين من قبيل «**إيّاك أعني واسمعي يا جارة**» فهو بعيد لأنّ سياق الحديث يشهد بأنّ الخطاب متوجّه نحو الإمام عليّ عليه السلام وأنّه المقصود مباشرة كما يُستفاد من كلمة في نفسك و:

«**إحفظها**»، و «**اللّهمّ أعِنه**».

ثمّ إنّ مثل هذه الوصايا كانت متداولة بين الكبار من الناس وبين الأئمّة الأطهار من وصيّة بعضهم بعضهم الآخر.

وكان الظاهر من سياق كلّ واحدة من مثل هذه العبارات الّتي وردت من إمام لإمام آخر عليهم السلام هو الإمام المخاطب بنفسه.

كما ورد في إحدى وصايا الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام:

«**أوصيكما وأهل بيتي ومن بلغه كتابي**».

ومن المعلوم أنّ الحسنين عليهما السلام كانا داخلين في هذه الوصيّة. وتكشف هذه الوصايا عن شدّة اهتمام وتعلّق المعصومين بعضهم ببعض. وعلى أيّ حال إنّ كون الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً بالوصية يكشف عن عظمة الوصيّة وأهمّيّتها.

**ثانيتهـا**: إنّ رسـول اللّه ﷺ أكّد على هذه الوصيّـة بهذا المستوى من التأكيد على الإمـام عليّ بن أبي طالـب عليه السلام رغم أنّه لن يتجاوز وصيّة رسول اللّه ﷺ قيد أنملة ولن يبدي تجاهها وهناً ولا فتوراً.

**ثالثتهما**: نبّه رسول اللّه ﷺ عليّاً بعد أن قال:

«**يا عليّ أوصيك**».

على أهمّيّة الوصيّة قائلاً:

«**فاحفظها عنّي**».

ولمّا تمنّى رسول اللّه ﷺ أن يأتي بهذه الوصايا المهمة دعا له قائلاً:

«**اللّهمّ أعِنه**».

وهكـذا بقية التأكيدات، الّتي وردت في كلّ واحدة مـن هذه الجمل بصورة مستقلّة مثل نون التوكيد، وتكرار الوصيّة وغير ذلك ممّا لا نحتاج إلى تعداده.

إذن يُعلـم أنّ هـذه الوصايا من الأمـور الهامّة. ومن الواضح أنّـه لا تعود في جميع هـذه الوصايـا بالفائـدة على رسـول اللّه ﷺ وإنّمـا تعـود المنفعة إلـى المخاطب. والإمـام عليه السلام وإن كان هو المخاطـب بالأصالة ولكنّ التكاليـف عامّة ومشتركة بين الجميع، حيث لا تعطّل برحيل المخاطب بل إنّها متواصلة مع الأجيال.

ولا بـدّ مـن معرفة أنّ شدّة تعلّـق رسول اللّه ﷺ بالإمام علـيّ عليه السلام « **تبعث على الفائدة الكبيرة لهذه الوصايا الّتي بُيّنتْ بهذا الأسلوب وعلى أهمّيّتها الكثيرة واللّه العالم**».

8

# سُورَةُ الهُمَزَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ
مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ
٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ
٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾.

- الهُمَزة: الّذي يعيبك بظهر الغيب.
- اللُّمَزة: الّذي يعيبك في وجهك.
- لينبذن: ليقذفن.
- الحطمة: اسم من أسماء جهنّم.
- الأفئدة: القلوب.
- مؤصدة: مطبقة.

## هويّة السورة:

وهي تسع آيات. وقد نزلت هذه السورة في مكّة المكرّمة.

## محتوى السورة وفضيلتها

هذه السورة، وهي من السور المكية، تتحدّث عن أناس كرّسوا كلّ همّهم لجمع المال، وحصروا كلّ قيم الإنسان الوجودية في هذا الجمع، ثمّ هم يسخرون من الّذين لا يملكون المال وبهم يستهزئون، ومنهم الوليد بن المغيرة، والأخنس بن شريق، وأميّة بن خلف.

هؤلاء الأثرياء المستكبرون والمغرورون المحتالون أسكرهم الطغيان فراحوا يستهينون بالآخرين ويعيبونهم ويتلذذون بما يفعلون من غيبة واستهزاء.

السورة تتحدّث في النهاية عن المصير المؤلم الّذي ينتظر هؤلاء، وكيف أنّهم يلقون في جهنّم صاغرين، وأنّ نار جهنّم تتّجه بلظاها أولاً إلى قلوبهم المليئة بالكبر والغرور، وتحرقها بالنار، بنار مستمرّة.

وفي فضيلة هذه السورة ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«**من قرأ سورة الهمزة أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمّد وأصحابه**»[1].

---

(1) الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص536.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

**«مـن قـرأ ويل لكلّ همزة في فريضة من فرائضه، نفت عنه الفقر وجلبت عليه الرزق وتدفع عنه ميتة السوء»**[1].

## في كنف السورة

الســورة المباركة تورد صفات عديدة لصنف من النـاسـ. هذه الصفات مذمومة؛ لما لها من آثار سلبية على الفرد والمجتمع.

1 - **الهمز واللّمز:**

**قال في مجمع البيان:**

**«الهُمَزة: الكثير الطعن على غيره بغير حقّ العائب له بما ليس بعيب... واللمز: العيب أيضاً، والهمزة واللمزة بمعنى (واحد).**

**وقـد قيـل: بينهما فرق فإنّ الهمـزة: الّذي يعيبك بظهر الغيـب، واللمزة: الّذي يعيبك في وجهك...**

**وقيـل: الهمـزة: الّذي يؤذي جليسه بسوء لفظه، واللمـزة الّذي يكسر عينه على جليسه ويشير برأسه ويومي بعينه...»**[2].

ومـن مجمـوع آراء اللغويّين في الكلمتين يستفاد أنّهمـا بمعنى واحد، ولهما مفهوم واسـع يشمل كلّ ألـوان إلصاق العيوب بالناس وغيبتهم والطعـن والبهتان والاستهزاء بهم والذمّ لهم والنميمة والفتنة، باللسان أو الإشارة.

وفي الحقيقة إنّ هاتين الصفتين (اللّتين قلنا إنّهما بمعنى واحد) أكثر ما تنبثقان مـن اللسان، الّـذي إذا أُسـيء استعماله أدّى بالإنسـان الفرد والمجتمـع إلى عواقب وخيمة.

(1) الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص536.

(2) نقلاً عن تفسير الميزان، ج20، ص358.

وهـذا ما حذّر منـه رسول الله ﷺ، حيث حمَّل اللسان مـن الأوزار والعذاب ما لم يحمِّله لغيره من جوارح البدن فقال ﷺ:

«**يعـذِّب الله اللسـان بعذاب لا يُعذّب بـه شيئاً من الجوارح فيقول: أيّ ربّ عذّبتني بعـذاب لـم تعـذّب بـه شيئـاً. فيقال لـه: خرجت منـك كلمة فبلغـت مشـارق الأرض ومغاربهـا، فسُفـك بها الدم الحرام وانتُهب المال الحرام وانتُهك بها الفرج الحرام، وعِزّتي وجلالي لأعذّبنّك بعذاب لا أعذّب به شيئاً من الجوارح...**»[1].

ولخطـورة موقع اللسان في حيـاة الإنسان فرداً ومجتمعـاً، وردت الوصاية الكثيرة الإسلاميّة، لتهذّب هذا اللسان.

فهذا القرآن الكريم يقارن بين الكلمة الطيّبة والخبيثة قائلاً:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾[2].

وهذا الإمام زين العابدين عليه السلام يقول في رسالة الحقوق حول حقّ اللسان:

«**وأمـا حـقُّ اللسـان فإكرامـه عـن الخنى**[3]**وتعويـده على الخيـر وحمله علـى الأدب وإجمامـه**[4] **إلّا لموضع الحاجـة والمنفعة للدين والدُّنيا وإعفاؤه عن الفضول الشنعة القليلة الفائدة الّتي لا يُؤمن ضررها مع قلّة عائدتها وبعدُ شاهد العقل والدليل عليه وتزيّن العامل بعقله حسن سيرته في لسانه ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم**»[5].

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج68، ص304.

(2) سورة إبراهيم، الآيات: 24 - 26 .

(3) الخنى: الفحش في الكلام.

(4) إجمامه: إراحته.

(5) رسالة الحقوق: حقّ الإنسان.

وللّسان قبائح منها:

**أ - الفحش وبذاءة اللّسان:**

عن أبي عبد الله عليه السلام:

«**إنّ الفحش والبذاءة والسلاطة من النفاق**»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**إنّ من أشرّ عباد الله من تكره مجالسته لفحشه**»[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**إذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فهو شرك شيطان**»[3].

وفي حديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«**إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ فحّاش بذيء اللسان، قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنّك إذا فتّشته لم تجده إلّا لغية أو شرك شيطان، قيل: يا رسول الله وفي الناس شرك شيطان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما تقرأ قول الله عزّ وجلّ:** ﴿..وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ...﴾[4][5].

**ب - الغيبة:**

وهي ذكرك أخاك بما يكره في غيبته، وقد ورد الكثير من النصوص الإسلاميّة حول قبحه، ويكفّيك قول الله تعالى:

﴿...وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[6].

(1) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج16، ص32، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الناشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث- قم-إيران، مطبعة مهر - قم- 1414هـ، باب تحريم الفحش، ح3.

(2) م.ن، ح8.

(3) م.ن، ح1.

(4) سورة الإسراء، الآية 64.

(5) سورة الإسراء، الآية 64.

(6) سورة الحجرات، الآية 12.

**ج - البهتان:**

وهو ذكرك أخاك بما ليس فيه، وهو أشدّ قبحاً من الغيبة.

**د - الاستهزاء:**

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

**هـ - النميمة والفتنة:**

وهي أن تخبر شخصاً خبراً؛ لتفسد علاقته مع أخيه أو صديقه.

**و - الكذب:**

وهو الإخبار بغير الواقع.

ممّا يساعد على تغيير اللسان، العادة، يقول الشاعر:

**عوِّد لسانك قول الحقّ تحظ به      إنّ اللسان لما عوّدت معتاد.**

ويجمع الجميع صفتا الهمز واللمز، اللذان يكشفان عن باطن خبيث للإنسان الّذي يتّصف بهما، فالإناء بالذي فيه ينضح، وأكثر ما ترى قبح اللسان في الكافرين.

2 - **حبّ المال:**

الصفة الثانية الّتي ذكرتها الآية الكريمة، حبّ المال. وهنا نقف قليلاً عند هذه الصفة.

فبشأن المال والثروة، اختلفت وجهات نظر الناس بين إفراط وتفريط، بعضهم أسبغ على المال أهمّيّة فائقة فجعله مفتاح حلّ كلّ المشاكل، وإلى ذلك ذهب الشاعر في قوله:

(1) سورة الحجرات، الآية 11.

**فصاحة سليمان وخطّ ابن مقلة وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم**
**إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس فليس له قدر بمقدار درهم**

ولذلك فإنّ دأب هؤلاء الأفراد جمع المال، ولا يدّخرون وسعاً على هذا الطريق، ولا يتقيّدون بقيد، ولا يهتمّون بحلال أو حرام، بهمز أو بلمز، بكذب أو بهتان، المهمّ عندهم تعداد الأموال. وهذه الصفة أكثر ما توجد في الكافرين. ومقابل هذه المجموعة هناك من لا يعير أيّة أهميّة للمال والثروة، يمتدحون الفقر، ويشيدون به، ويرون في المال عائقاً للتقوى والقرب الإلهيّ، كبعض المتصوِّفة ومن سلك مسلك الرهبانية.

وإزاء ذاك الإفراط وهذا التفريط، يقف الإسلام وسطاً ويبيّن أنّ المال مطلوب ولكن بشروط:

**أوّلها**: أن يكون وسيلة لا غاية.

**ثانيها**: أن لا يكون الإنسان له أسيراً، بل أن يكون عليه أميراً.

**ثالثها**: أن يأتي بالطرق المشروعة (لا بالكذب والبهتان، والغشّ والخداع) وأن ينفق في سبيل رضا الله تعالى.

فالرغبة في هذا المال ليست دائماً دليلاً على حبّ الدنيا.

3 - **توهّم باطل:**

من الصفات الّتي ذكرتها الآية الكريمة، أنّ هذا الصنف من الناس يعيش الأوهام الباطلة، لا الحقائق الناصعة، فيحسب أنّ المال الّذي يجمعه هو الّذي سيخلّده في الدنيا.

هذا الصنف من الناس حيث لم يلجأ إلى ركن وثيق، إلى خالق الكون، ربّ العالمين، فإنّه يتمسَّك بأيّ شيء ليوهم نفسه أنّه سيعيش إلى الأبد، وما هو بمزحزحه من العذاب:

﴿كَلَّا ۖ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾.

## للمطالعة

### المفاسد الاجتماعية للغيبة

يقول الإمام الخمينيّ قدّس سرّه:

«إنّ هـذه المعصيـة الكبيـرة وهذه الجريـرة العظيمة، مـن المفسـدات للإيمان والأخلاق والظاهـر والباطن وممّا تدفع بصاحبها إلـى الفضيحة في الدنيا والآخرة. حيـث ذكرنا سلفـاً في الفصل السابق نبـذة يسيرة منها، كذلـك تشتمل هذه الرذيلة على مفاسد اجتماعيـة ونوعية أيضاً، ولهذا يكون فسادها وقبحها أعظم من كثير من المعاصي.

إنّ من الأهداف الكبيرة للشرائع الإلهيّة والأنبياء العظام سلام الله عليهم مضافاً إلـى كونه الهـدف الّذي نذكره هدفـاً مستقلاً وليس بمجـرّد أداة وواسطـة وإنّما هي الوسيلـة الّتي تبعـث على إنجاز الأهداف الأساسية الكبيـرة، وشرط ضروريّ لتحقيق المدينـة الفاضلة، مضافاً علـى ذلك، هو توحيد الكلمة وتوحيـد العقيدة والاتّفاق في الأمـور الهامّـة، والحدّ من ظلم الجائرين الباعث على فسـاد بني الإنسان. ولا يتحقّق هـذا الهدف الكبير المصلح للمجتمع والفرد إلّا فـي ظلّ وحدة النفوس واتّحاد الهمم والتآلـف والتآخـي، والصداقـة القلبية والصفـاء الباطنيّ والظاهـريّ، وتربية أفراد المجتمـع على نمـط يساهم كلهم في بنـاء شخص واحد، ويحـوّل المجتمع إلى فرد، ويجعـل الأفراد بمنزلة الأعضاء والأجزاء لذلك الفـرد وتدار كافة الجهود والمساعي حول الهدف الإلهيّ الكبير، والأمر الهامّ العقليّ العظيم – الوحدة والأخوّة – الّذي فيه مصلحـة الفـرد والمجتمع. ولو أنّ مثل هذه الوحدة والأخـوّة ظهرت في طائفة أو نوع، لتغلّبوا على جميع الطوائف والأمم الّتي لا تحظى بالأخوّة والوحدة كما يتّضح ذلك من مراجعـة التاريخ وخاصّة دراسة الحروب الإسلاميّة وفتوحات الإسلام العظيمة، حيث تمتّـع المسلمـون لدى بزوغ القانون الإلهـيّ – الإسلام – بشيء مـن الوحدة والاتّحاد،

واقترنـت مساعيهم بشيء من الخلوص في النية، فحقّقـوا في فترة قصيرة إنجازات عظيمـة، وهزموا القوى الجبارة آنذاك المتمثّلة فـي إيران والروم وانتصروا رغم قلّة عددهم وعُدّتهم على الجيوش المدجّجة بالسلاح وعلى المجتمعات الكبيرة.

إنّ نبـيّ الإسـلام قد أجـرى عقد الأخوّة فـي الأيام الأولى بيـن المسلمين فسادت الأخوّة حسب الآية الكريمة:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾[1] بين جميع المؤمنين.

وفـي الكافي عـن شعيـب العقرقوفي في قـال: سمعـت أبا عبـد الله عليه السلام يقول لأصحابه:

**«إتّقـوا الله وكونـوا إخوة بـررةً في الله متواصليـن متراحمين، تـزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه»**[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

**«يحـقّ على المسلمين الاجتهاد فـي التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لأهـل الحاجـة وتعاطف بعضهم علـى بعض حتّى تكونوا كمـا أمركم الله (عز وجل) ﴿رحماء بينهم﴾»**[3].

وعنه عليه السلام :

**«تواصلوا وتبارّوا وتراحموا وكونوا إخوة بررةً كما أمركم الله عزَّ وجلَّ»**[4].

ومن المعلوم أنّه كلّ ما يبعث على ازدياد هذه الصفات، يكون محبوباً ومرغوباً فيه وكلّ مـا ينقض هذه الأخوّة ويفـرط عقد التواصل ويدفع نحو التمـزّق، يعتبر مبغوضاً عنـد صاحب الشريعـة ومناقضاً لأهدافه الكبيرة. ومن الواضـح لدى الجميع أنَّ هذه

(1) سورة الحجرات، الآية 10.

(2) الشيخ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج2، ص175، تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، مطبعة الحيدري، 1365 ش، ط4، باب زيارة الاخوان، ح1.

(3) م.ن، ح 14.

(4) م.ن، ح 2.

المعصية الكبيرة الخطيرة - الغيبة - إذا أشيعت في المجتمع، غرست شجرة النفاق فيه، وضعضعت وحدة المجتمع وتضامنه، ووهن أساس الديانة، وفي النهاية تزداد في المجتمع القبائح والفسائد.

فيجب على كلّ مسلم غيور ملتزم، لصيلنة نفسه من الفساد، وأهل دينه من النفاق وللمحافظة على المجتمع الإسلاميّ ووحدته ولتحكيم عقد الأخوّة أن يبتعد عن هذه الرذيلة، ويمنع المغتابين من هذه الموبقة القبيحة، ويتوب إلى اللّه من هذا العمل الكريه، وإذا كان مبتلىً به، يسترضي من اغتابه. وإذا أمكن من دون أن يفضي إلى مشكلة استحلّه، وإلّا استغفر له وتخلّى عن هذه الخطيئة، وأنعش من جديد في قلبه جذور الصداقة والاتّحاد، حتّى يصبح من الأعضاء الصالحين في المجتمع وينقلب إلى جزء هامّ في عجلة الإسلام واللّه الهادي إلى سبيل الرشاد.

**علاج هذه الموبقة:**

اعلم أنّ معالجة هذه الخطيئة العظيمة وغيرها من الخطايا تكمن في العلم النافع والعمل.

أمّا العلم النافع فهو أن يفكّر الإنسان في الآثار الناجعة الّتي تترتّب على معالجة هذه الموبقة ويقارنها مع المضاعفات السيئة والآثار الشنيعة الّتي تترتّب على الغيبة، ثمّ يعرض كلا الأمرين على العقل ويستهديه لما فيه الحسن والخير والصلاح.

إنّ الإنسان لا يعادي نفسه البتة، ولكنه يجترح السيئات من جراء الجهل والغفلة عن بواعثها ونتائجها. أمّا الفائدة الموهومة فتترتّب على تلك المعصية، من إرضاء رغباته النفسية في ذكر مساوىء الناس وكشف عوراتهم دقائق محدودة، ومن تضييع الوقت في ذكر اللطائف اللاذعة والأحاديث الشنيعة المنسجمة مع الطبيعة الحيوانية أو الشيطانيّة ويلهو في جلسته مع أصدقائه فيشفي غيظه ممّن يحسدهم.

وأمّا آثارها - الغيبة - القبيحة فقد عرفت قسماً منها في الفصول السابقة وعليك أن تقف على قسم آخر وتتّعظ منه، وتأخذه بعين الاعتبار لدى المقارنة بين حسنات

الكفّ عـن الغيبة بالمعالجة وسيئات الانهماك فيها. وتنجم عن هذا التفكّر والمقارنة آثار طيبة.

أمّا آثارها – الغيبة – الشنيعة في هذا العالم فهو سقوط الإنسان من أعين الناس، وسحب ثقتهم به. إنّ طبائع الناس مجبولة على حبّ الكمال والجمال والحسن، والنفور مـن كلّ نقص وقبح وانحطـاط. وملخَّص الحديث أنّ النـاس يفرقون بين من يتجنّب هتـك أستـار الناس وكشف أعراضهم وأسرارهم، وغيره، حتّـى أنّ الّذي يتولّى الغيبة يرى في نفسه فطرة وعقلاً. الإنسان الّذي يكون على حذر من هذه الأمور وهتك أسرار أعراض الناس، فضحه الله في هذه الدنيا كما صُرِّح بذلك في حديث إسحاق بن عمار المتقدّم.

9

# سُورَةُ المَاعُونِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ
٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ
هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ
ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾.

- الدّعّ: الردّ بعنف وجفاء.
- يحضّ: «الحضّ»: الترغيب.
- ساهون: ناسون.
- الماعون: كلّ ما يعين في رفع حاجة من حوائج الحياة.

## هويّة السورة:

نزلت هذه السورة في مكّة[1]، عدد آياتها سبع.

## محتوى السورة وفضيلتها

هــذه السورة علــى رأي أكثــر المفسّريــن مكّيّة. ولحنها الّذي يتحــدَّث عن القيامة وأعمال منكري القيامة بمقاطع قصيرة وقارعة يؤيّد ذلك.

السورة بشكل عامّ تذكر صفات وأعمال منكري القيامة في خمس مراحل.

فهــؤلاء نتيجة لتكذيبهم بذلك اليوم، لا ينفقون في سبيل الله وعلى طريق مساعدة اليتامى والمساكين. ثمّ هم يتساهلون في الصلاة، ويعرضون عن مساعدة المحتاجين.

وفــي سبــب نزول السورة قيل إنّهــا نزلت في أبي سفيان الّــذي كان ينحر في اليوم اثنين من الإبل ويطعم أصحابه، ولكنّ يتيماً جاءه يوماً يطلب منه شيئاً فضربه بعصاه وطرده.

وقيل إنّها نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل في العاص بن وائل وفي أبي جهل ...[2].

(1) قيل إنّها نزلت في المدينة.

(2) الطبرسي، مجمع البيان، ج4، ص 100.

وفي فضيلة تلاوة هذه السورة، ورد عن الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: «**من قرأ ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ في فرائضه ونوافله قَبِل الله صلاته وصيامه ولم يحاسبه بما كان منه في الحياة الدنيا**»[1].

## في كنف السورة

السورة المباركة على صغرها تحمل معانيَ وأفكاراً ومفاهيم مهمّة:

1 - **خطورة التكذيب بالدين:**

فُسِّر الدِّين - وهو التفسير غير المشهور - باتّباع الملَّة أيّ ملّة الإسلام العظيم، وفُسِّر - وهو التفسير المشهور - بيوم الدَّين أيّ يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى اللّه بقلب سليم.

وعلى كلا التفسيرين فإن اللوازم المذكورة للتكذيب بالدين تصحّ؛ فالمكذِّب بالإسلام والكافر به، والمكذِّب بالآخرة، كلاهما يحملان صفات روحيّة وسلوكيّة قبيحة.

فهناك ارتباط وثيق بين الاعتقاد من جهة والروحيّة والأخلاق والسلوك من جهة أخرى، فمن لا اعتقاد له باللّه واليوم الآخر، تلاحظ فيه سلوكيّات شاذّة، منها:

2 - **يدعّ اليتيم:**

والدعّ هو الردّ بعنف. وهذا أقصى مراتب قساوة القلب، فلا يكفي الكافر في بعض حالاته من عدم الإحسان إلى اليتيم، بل يترقّى إلى أذيّته بردِّه بعنف.

أمّا المسلم المؤمن باللّه وبالآخرة فهو بخلاف ذلك. إنّه رحيم بالأيتام الّذين أوصى الإسلام العظيم بهم توصيات كثيرة:

يقول اللّه تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾[2].

(1) الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص546.
(2) سورة البقرة، الآية 83.

ويقول سبحانه:

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[1].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته قبل موته:

**«الله الله في الأيتام فلا تغبُّوا[2] أفواههم، ولا يُضيّعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من عال يتيماً حتّى يستغني عنه أوجب الله عزَّ وجلَّ له الجنّة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار»**[3].

عن أبي الدرداء قال: أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رجل يشكو قسوة قلبه.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

**«أتحبّ أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟ إرحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك وتدرك حاجتك»**[4].

**ولقد ذمّ الإسلام آكلي أموال اليتامى:**

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[5].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

**«شرّ المآكل أكل مال اليتيم»**[6].

(1) سورة البقرة، الآية 177.

(2) أغبّ القوم: جاءهم يوماً وترك يوماً، أيّ لا تجيعوهم بأن تطعموهم غبّاً.

(3) الشيخ الكليني، فروع الكافي، ج7، ص11.

(4) الري شهري، ميزان الحكمة، مج10، ص765.

(5) سورة النساء، الآية 10.

(6) الري شهري، ميزان الحكمة، مج10، ص766.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

**«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يُبعث ناس من قبورهم يوم القيامة تأجّج أفواههم ناراً فقيل له: يا رسول الله من هؤلاء؟ قال: الّذين يأكلون أموال اليتامى»**[1].

وبعض الروايات يعلِّل حرمة أكل مال اليتيم:

عن الرضا عليه السلام فيما كتب من جواب مسائله:

**«حرّم أكل مال اليتيم لعلل كثيرة من وجوه الفساد:**

**أوّل ذلك إذا أكل مال اليتيم ظلماً فقد أعان على قتله إذ اليتيم غير مستغنٍ، ولا محتملٌ لنفسه، ولا قائم بشأنه، ولا له من يقوم عليه ويكفيه كقيام والديه، فإذا أكل ماله فكأنّه قد قتله وصيّره إلى الفقر والفاقة...»**[2].

### 3 - لا يحضّ على طعام المسكين:

ومن صفات الكافر أنّه ليس لديه روح التعاون، فهو لا يحضّ على طعام المسكين، أيّ لا يرغِّب نفسه أو غيره على إطعام المسكين.

ثمّ تنتقل السورة إلى صنف من الناس تراهم في المجتمع الإسلاميّ، ويدّعون الإسلام، إلّا أنّ سلوكهم وأخلاقيّاتهم تشابه أخلاق الّذي يكذِّب بالدِّين، وهؤلاء تعرفهم من خلال بعض الصفات التي تذكرها السورة في الآيات اللاحقة.

### 4 - ساهون عن الصلاة مراؤون بها:

فهم غافلون عنها لا يهتمّون ولا يبالون أن تفوتهم بالكلّية. وبالإضافة للسهو عن الصلاة هناك سهو في الصلاة ينبغي أن يتجنّبه المؤمن.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج8، ص239.

(2) م.ن، ج مج6، ص98.

فالسهو في موضوع الصلاة مراتب:

أ - تركها كلّية، والمسلم التارك للصلاة كالكافر الّذي قطع الصلة باللّه تعالى.

ب - الصلاة المرائية، وهي صلاة المنافق الّذي يصلّي ليوهم الناس أنّه مؤمن.

ج - التهاون بها وتضييعها وعدم الاهتمام بها، فهو يصلّي مرّة ويقطع عشراً.

د - عدم الخشوع فيها.

هـ - تأخيرها عن أوّل وقتها.

في تفسير القميّ في قوله تعالى:

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾.

قال: نزلت في أبي جهل وكفّار قريش، وفي قوله:

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾.

قال: عنى به «تاركون»، لأنّ كلّ إنسان يسهو في الصلاة.

قال أبو عبد اللّه عليه السلام :

«**تأخير الصلاة عن أوّل وقتها لغير عذر**»[1].

وفي الخصال عن عليّ عليه السلام قال:

«**ليس عمل أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من الصلاة فلا يشغلنّكم عن أوقاتها شيء من أمور الدنيا فإنّ الله (عزّ وجلّ) ذمّ أقواماً فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ يعني أنّهم غافلون استهانوا بأوقاتها**»[2].

وفي الإسلام توصيات كثيرة بالصلاة، فهي عمود الدين، والتي إن قُبلت قُبل ما سواها وإن رُدّت رُدّ ما سواها، وأوّل شيء يُسأل العبد عنه يوم القيامة، وهي قربان كلّ تقيّ.

(1) محمد حسين الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج20، ص368، نشر مؤسسة التراث الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين - قم المشرفة.

(2) م.ن.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق:

**«فأمّا حقّ الصلاة فأن تعلم أنّها وفادة إلى الله وأنّك قائم بها بين يدي الله فإذا علمت ذلك كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام الذليل، الراغب الراهب، الخائف، الراجي، المسكين، المتضرّع المعظّم من قام بين يديه بالسكون والإطراق وخشوع الأطراف ولين الجناح وحسن المناجاة له في نفسه والطلب إليه في فكاك رقبتك الّتي أحاطت بها خطيئتك واستهلكتها ذنوبك. ولا قوّة إلّا بالله»**[1].

والإمام زين العابدين عليه السلام لم يكن متكلّماً بهذه الكلمات فحسب بل:

**«كان إذا قام إلى الصلاة تغيّر لونه فإذا سجد لم يرفع رأسه حتّى يرفض عرقاً**[2]**»**.

وفي حديث آخر:

**«كان عليّ بن الحسين إذا قام في الصلاة كأنّه ساق شجرة لا يتحرّك منه شيء إلّا ما حرّكت الريح منه»**[3].

هذه هي صلاة الأئمّة عليهم السلام. صلاتهم ليست كصلاة من روى عنه أبو جعفر عليه السلام حيث يقول:

**«بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام يصلّي فلم يتمّ ركوعه ولا سجوده. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نقر كنقر الغراب لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتنّ على غير ديني»**[4].

---

(1) الإمام زين العابدين، رسالة الحقوق، حقّ الصلاة.

(2) يرفض عرقاً: يسيل عرقه ويجري.

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج46، ص64.

(4) الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، م.ن، ج82، ص101.

5 - **يمنعون الماعون:**

ومـن صفات تاركي الصلاة المتهاونين بها، صفة منع الماعون. والماعون: «**كلّ ما يعيـن الغيـر في رفع حاجة من حوائج الحياة كالقرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره**»[1] إلى غير ذلك.

عن أبي عبد الله عليه السلام:

«**وقولـه (عـزّ وجلّ) ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ هو القرض تقرضـه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره ومنه الزكاة**»[2].

فالمسلـم الحقيقيّ: هو الباذل المعطي الكريم المتصدِّق، هو صاحب روح معطاءة متعاونة، لا شحيحة بخيلة.

أنظروا إلى أئمّتكم قدوتكم كيف كانوا:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.

حشرنـا الله مـع أئمّتنا، مـع محمّد وعلـيّ وفاطمة والحسـن والحسيـن، والتسعة المعصوميـن مـن ذريّة الحسين عليه السلام، وجعلنا الله مـن المقتدين بهم، فمن اقتدى بهم ربح، ومن تخلّف عنهم غرق.

---

(1) الطباطبائي، تفسير الميزان، ج20، ص268.

(2) م.ن، ص269.

## للمطالعة

**ماعون آل محمّد ﷺ**

فيما ينقل عن الحسين بن عليّ والصادق صلوات الله عليهما:

«**إنّهما كانا يتصدّقان بالسُكّر ويقولان: إنّه أحبّ الأشياء إلينا وقد قال الله تعالى:**

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾»(1).

وفي الحديث عن أبي الطفيل قال: اشترى عليٌّ عليه السلام ثوباً فأعجبه فتصدّق به وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنّة ومن أحبَّ شيئاً فجعله لله قال الله تعالى يوم القيامة قد كان العباد يُكافئون فيما بينهم بالمعروف وأنا أكافيك اليوم بالجنّة**»(2).

ورويَ أنّ أبا طلحة وهو من الأصحاب، قسم حائطاً بستان له في أقاربه عند نزول هذه الآية وكان أحبّ أمواله إليه فقال له رسول الله ﷺ:

«**بخٍ بخٍ ما رابح لك**»(3).

واستضاف أبو ذرّ الغفاريّ ضيفاً فقال للضيف:

إنّي مشغول وإنَّ لي إبلاً فاخرج وأتني بخيرها.

فذهب فجاء بناقةٍ مهزولةٍ.

فقال له أبو ذرّ: خُنتني بهذه.

---

(1) الطبرسي، مجمع البيان، ج2، ص472.

(2) م.ن.

(3) م.ن، تفسير الآية 92 من سورة «آل عمران».

فقال: وجدتُ خير الإبل فحلها فذكرت يوم حاجتكم إليه.

فقال أبو ذرّ: إنَّ يوم حاجتي إليه ليوم أوضعُ في حُفرتي مع أنَّ اللّه يقول:

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

وقال أبو ذرّ: في المال ثلاثة شركاء: القدرُ لا يستأمِرُك أن يذهب بخيرها أو شرِّها مـن هَلَكَ، والـوارث ينتظرك أن تضع رأسك ثمَّ يستاقها وأنت ذميم، وأنت الثالث فإن استعطت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكُن، إنَّ اللّه يقول:

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

وإنّ هذا الجمل كان ممّا أُحِبُّ من مالي فأحببت أن أقدِّمَه لنفسي»[1].

يقول الإمام الخمينيّقدس سره في بيان سرٍّ من أسرار الصدقة:

لا بدّ وأن نعرف بأنّ الإنسان قد نشأ وتربّى على حبّ المال والجاه والزخارف الدنيويّة. وقد انعكس هذا التعلّق على قلبه، فتعمَّق فيه وأضحى مصدراً لكثير من المفاسد الخُلُقيّة والسلوكيّة، بل الانحرافات الدينيّة. كما ورد في أحاديث كثيرة[2]. وعليه إذا استطاع الإنسان بواسطة الصدقات أو الإيثار على النفس أن يستأصل من قلبه هذا التعلّق أو يخفّف منه، لتمكّن من اجتثاث مادة الفساد ومصدر الأعمال المشينة فترة حياته وفتح أبواب المعارف الإلهيّة، وعالم الغيب، والملكوت، والملكات الفاضلة، على نفسه، وهذا من الأمور الهامّة في الإنفاق الماليّ الواجب والمتسحبّ وخاصّة في الإنفاق المستحبّ حيث لا بدّ من الإقلاع عن التعلّق بالدنيا حتّى يتمّ البذل، وهو واضح.

إذن يتبيّـن مـن كافّـة الأخبار والأحاديـث في هذا الموضـوع أنّ الصدقـة تشتمل على الفضائـل الدنيويّـة والأخرويّة حيث ترافق الإنسان من اللحظـة الأولى من التصدّق فتدفع

(1) الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الآية 92 من سورة «آل عمران».

(2) الشيخ الكليني، أصول الكافي، ج2، ص315، 320.

الشـرّ والبلاء عـن الإنسان حتّى يـوم القيامة ومواقفها إلـى أن تُدخل الإنســان إلى الجنّة وتسكنه جوار الحقّ سبحانه.

لا بـدّ أن نعـرف بـأنّ صدقة السـرّ أفضل من الصدقة فـي العلن، كمـا ورد في الكافي الشريف بسنده إلى عمّار الساباطيّ عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

**«يـا عمّار، الصدقة فـي السرّ واللهِ أفضلُ من الصدقة في العلانية وكذلك واللهِ العبادة في السِّر أفضل منها في العلانية»**[1].

(1) الشيخ الكليني، فروع الكافي، ج4، ص8.

10

# سُورَةُ النَّصرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ
فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ
تَوَّابَۢا ٣﴾.

- دين الله: الإسلام.
- أفواجاً: جماعة بعد جماعة وزمرة بعد زمرة.
- سبِّح: نزّه.

## هويّة السورة:

نزلت هذه السورة في المدينة، وآياتها ثلاث.

## محتوى السورة وفضيلتها

هــذه السورة نزلت فــي المدينة بعد الهجرة، وفيها بشــرى النصر العظيم ودخول الناســ فــي دين اللّه أفواجاً، وتدعو النبيّ أن يسبّــح اللّه ويحمده ويستغفره شكراً على هذه النعمة.

في الإسلام فتوحات كثيرة، ولكنّ فتحاً بالمواصفات المذكورة في السورة ما كان سوى «**فتــح مكّة**»، خاصّــة وأنّ العرب كما جاء في الروايات كانت تعتقد أنّ نبيّ الإسلام ﷺ لا يستطيع أن يفتح مكّة إلّا إذا كان على حقّ... ولو لم يكن على حقّ فربُّ البيت يمنعه كما منع جيش أبرهة. ولذلك دخل العرب في دين اللّه بعد فتح مكّة أفواجاً.

قيل: إنّ هذه السورة نزلت بعد «**صلح الحُدَيْبية**» في السنة السادسة للهجرة، وقبل عامين من فتح مكّة.

ومــا ذكره بعضهــم من نزول هذه السورة بعد فتح مكّة فــي السنة العاشرة للهجرة في حجّة الوداع بعيد جدّاً. لأنّ عبارات السورة لا تنسجم وهذا المعنى، فهي تخبر عن حادثة ترتبط بالمستقبل لا بالماضي.

ومن أسماء هذه السورة «**التوديع**» لأنّها تتضمّن خبر وفاة النبيّ ﷺ.

فـي الرواية أنّ هذه السورة لمّا نزلـت قرأها رسول اللّه ﷺ على أصحابه ففرحوا واستبشروا وسمعها العبّاس فبكى.

فقال ﷺ: **ما يبكيك يا عم؟**

فقال: أظنّ أنّه قد نُعِيت إليك نفسك يا رسول اللّه.

فقال ﷺ:

«**إنّه لكما تقول**»(1).

ظاهـر السـورة ليس فيه أنباء عن قرب رحلة الرسـول ﷺ بل عن الفتح والنصر. فكيف فهم العبّاس أنّها تنعى إلى الرسول نفسه؟

يبـدو أنّ دلالة السـورة على اكتمال الرسالـة وتثبيت الدين هو الّـذي أوحى بقرب ارتحال الرسول إلى جوار ربّه.

في فضيلة السورة ورد عن الرسول ﷺ قال:

«**من قرأها فكأنّما شهد مع رسول اللّه ﷺ فتح مكّة**»(2).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«**مـن قـرأ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فـي نافلـة أو فريضـة نصـره الله على جميـع أعدائـه، وجاء يوم القيامة ومعه كتاب ينطق قد أخرجه اللّه من جوف قبره، فيه أمان من حرّ جهنّم...**»(3).

(1) الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص 554.

(2) م.ن، ص553.

(3) م.ن.

## في كنف السورة

### 1 - نصر اللّه تعالى:

في القرآن الكريم كثير من الآيات الكريمة تضيف النصر إلى اللّه تعالى، يقول تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[1].

﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[2].

﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ﴾[3].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

وهذه الإضافة أيّ إضافة النصر إلى اللّه تعالى تعني أنّ النصر يحتاج إلى مدد إلهيّ، فإنّ كلّ شيء في الوجود لا يمكن له أن يستغني عن العون والمدد والتوفيق الإلهيّ، وهي إمدادات غيبيّة ترتفع عن المسائل الحسّيّة. وقبل الحديث عن أنواع الإمدادات وشروطها، نتعرّض بالإشارة إلى مصطلحين قرآنيّين:

**الرحمة الرحمانيّة**: هي الألطاف الإلهيّة الشاملة لكلِّ الموجودات، فوجود كلّ شيء في هذا العالم بنفسه رحمة لذلك الموجود. وكذلك تعتبر كلّ الوسائل الّتي خلقت لأجل وجوده والحفاظ على بقائه رحمة له أيضاً، وهذه الرحمة تفاض وفق قوانين طبيعيّة عامّة.

**الرحمة الرحيميّة**: هي تلك الألطاف الإلهيّة الخاصّة، الّتي يستحقّها المكلَّف لحسن طاعته وامتثاله وأدائه، وهي تفاض وفق شروط وقوانين خاصّة ومعيّنة.

ونحن نطلب من اللّه تعالى هذا النوع الخاصّ من الرحمة يوميّاً في صلاتنا:

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[4].

---

(1) سورة البقرة، الآية 214.

(2) سورة آل عمران، الآية 126.

(3) سورة التوبة، الآية 25.

(4) سورة الفاتحة، الآية 5.

وتشمل هذه الألطاف الإنسان في حياته الفرديّة أو الاجتماعيّة وتنقذه من كثير من المآزق.

وقد شمل الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بمثل هذه الألطاف حيث يقول القرآن بحقّ الرسول الأكرم ﷺ:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾(1).

فالإنسان المؤمن بحاجة إلى مثل تلك الألطاف الإلهيّة الخاصّة. والنصر من الله تعالى هو لطف منه على عباده المؤمنين، وهو مدد غيبيّ لا يتحقّق إلّا بشروط أقرّها الله تعالى وهي:

أ - **الإيمان**: يقول تعالى:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(2).

ب - **العمل والجهاد**: قال تعالى:

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(3).

فقوله: ﴿إِن تَنصُرُوا﴾ في هذه الآية، يُفهم منه صريحاً أنّ إعطاء ومنح النصر مشروط بمن يعمل وينصر ويجاهد، والآيات الكريمة في الحثّ على الجهاد كثيرة، فليس الأمر كما قال اليهود للنبيّ موسى عليه السلام حين أمرهم بالقتال لدخول الأرض المقدّسة:

﴿...فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾(4).

ج - **الأمل والصدق**: يقول تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ

(1) سورة الضحى، الآيات: 6 - 8.
(2) سورة الروم، الآية 47.
(3) سورة محمّد، الآية 7.
(4) سورة المائدة، الآية 24.

﴿مَسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[1].

فنلاحظ أنّ الله تعالى أراد للمؤمنين رغم ما بهم من ضيق وضرّ وبأساء أن يأملوا نصر الله فهو قريب.

ويقول أمير المجاهدين الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة:

**«... ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا ومرّة لعدوّنا منّا، فلمّا رأى الله صدقنا أنزل لعدوّنا الكبت وأنزل علينا النصر حتّى استقرّ الإسلام...»**[2].

**د - في سبيل الله:**

أن يكون العمل والجهاد كلّه في سبيل الله، فالنصرة لا بدّ أن تكون لله:

﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾.

والمجاهدة لا بدّ أن تكون في الله:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[3].

**هـ - إعداد العدّة:** قال تعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾[4].

---

(1) سورة البقرة، الآية 214.
(2) نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، من كلام له عليه السلام في وصف حربهم على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، ج1، ص104.
(3) سورة العنكبوت، الآية 69.
(4) سورة الأنفال، الآية 60.

إذن لا يتحقّق المدد الغيبيّ والنصر الإلهيّ عبثاً ولا مجّاناً ونحن عاكفون في البيوت كما قال اليهود لنبيّهم:

﴿...فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾[1].

بل لا بدّ من توفّر الشروط الموضوعيّة لكي تتحقّق الألطاف الإلهيّة، وليست هذه الشروط من المستحيلات.

فدروس وعبر المسلمين الأوائل إلهامات مهمّة لكي نأخذ منها المدد الواقعيّ.

2 - **النصر ودخول الناس في الإسلام:**

إنّ النصر له آثار مهمّة على النّاس المنتصر عليهم، من حيث تهيّؤهم للدخول في الإسلام العظيم، فالناس مع المنتصر القويّ، لا مع المنهزم الضعيف.

لذلك نرى السورة الكريمة ترتّب على النصر دخول الناس في دين الله أفواجاً.

3 - **استمراريّة النصر مشترطة:**

النصر يعقبه انفعالات نفسيّة خطيرة على المنتصرين كالعجب، والغرور، والتكبّر، والاقتناع بما وصلوا إليه، إلى غير ذلك من الصفات. من هنا ولكي يستمرّ النصر لا بدّ من إزالة هذه الرذائل الأخلاقيّة من نفوس المؤمنين، وذلك بدوام العلاقة بالله تعالى، بالتسبيح والاستغفار والتوبة، وهي رمز لدوام العلاقة بالله تعالى والتواضع أمام نعمه.

(1) سورة المائدة، الآية 24.

## للمطالعة

### فتح مكّة

بعد صلح الحديبية عمد المشركون إلى نقض العهد، وإلى خرق بنود وثيقة الصلح، واعتـدوا علـى المتحالفين مع رسول اللّه ﷺ. فشكى المتحالفـون ذلك إلى الرسول، فقرّر ﷺ أن يهبّ لحمايتهم.

لذلك استعدّ النبيّ للحركة بأمر اللّه سبحانه صوب مكّة.

فـي المرحلـة التمهيديّـة تـمّ تعبئة القـوى اللازمـة واختيـار الظـروف الزمانيّة المساعدة، وجمع المعلومات الكافية عن العدوّ.

هذه المرحلـة اتّصفت بالدقّة المتناهية، ورسول اللّه ﷺ سيطر على الطريق بيـن مكّـة والمدينة سيطـرة تامّة حتّى لا يتسـرّب خبر هذا الاستعـداد الإسلاميّ إلـى مكّـة، ولكي يتمّ الفتـح بشكل مباغت وهذا أدّى إلى فتـح مكّة دون إراقة دماء تقريبـاً.

توجّـه النبيّ ﷺ في العاشر من رمضان سنـة ثمان للهجرة إلى مكّة، ووصلها بعد عشرة أيّام.

والمرحلـة الثانية كانت فتح مكّة بأسلوب ماهر خال من القتال إذ وصل المسلمون إلـى مشارف مكّة وعسكروا عند «**مرّ الظهران**» على بعد عدّة كيلومترات من المدينة، وفـي الليل أشعلوا نيرانـاً كثيرة لإعداد الطعام (ولعلّهم فعلـوا ذلك لإثبات حضورهم الواسع)، ورأى جمع من أهل مكّة هذا المنظر فتحيّروا.

أخبـار الزحف الإسلاميّ كانت لا تزال خافية علـى قريش. في تلك الليلة خرج أبو سفيان ومعه عدد من سراة قريش للاستطلاع خارج مكّة.

وفـي نفـس الليلة قـال العبّاس عم النبـيّ ﷺ: «**يا سـوء صباح قريش، واللّه لئن باغتها رسول اللّه في ديارها فدخل مكّة عنوة إنّه لهلاك قريش إلى آخر الدهر**».

فاستـأذن رسول اللّه وخرج علـى بغلته لعله يرى واحداً متّجهـاً إلى مكّة فيخبرهم بمكان رسول اللّه فيأتونه فيستأمنونه.

وبينمـا العبّاس يطـوف بأطراف مكّة إذ سمـع صوت أبي سفيان ومعـه القرشيّون الّذين خرجوا يتجسّسون، فقال أبو سفيان: ما رأيت نيراناً أكثر من هذه. فقال له أحد مرافقيه: هذه نيران خزاعة.

فقال أبو سفيان: خزاعة أذلّ من ذلك.

نادى العبّاس أبا سفيان، فسأله أبو سفيان على الفور: ما وراءك؟

قال العبّاس: هذا رسول اللّه ﷺ في المسلمين أتاكم في عشرة آلاف.

قال أبو سفيان: ما تأمرني؟

أجابـه العبّاسـ: تركـب معـي فأستأمن لك رسـول اللّه ﷺ فواللّه لئـن ظفر بك ليضربنّ عنقك.

فخرجا يركضان نحو رسول اللّه ﷺ. فكلّما مرّا بنار من نيران المسلمين يقولون: عمّ رسول اللّه على بغلة رسول اللّه (أيّ إنّ المارّ ليس بغريب)...

أدخل العبّاس أبا سفيان على رسول اللّه، فقال رسول اللّه ﷺ للعبّاس: «**اذهب فقد أمّنّاه حتّى تغدو عليّ به بالغداة**».

فلمّا كان من الغد جاء العبّاس بأبي سفيان إلى رسول اللّه ﷺ. فلمّا رآه قال ﷺ:

«**ويحك يا أبا سفيان! ألم يأنِ لك أن تعلم أن لا إله إلّا اللّه؟**».

قال: بلى، بأبي أنت وأمّي لو كان مع اللّه غيره لقد أغنى عنّي شيئاً.

فقال ﷺ:

«**ويحك ألم يأنِ لك أن تعلم أنّي رسول اللّه؟**».

فقال: بأبي أنت وأمّي، أمّا هذه ففي النفس منها شيء.

فقال له العبّاس: ويحك تشهّد شهادة الحقّ قبل أن تُضرب عنقك! فتشهّد.

فقال رسول اللّه ﷺ للعبّاس: «**اذهب فاحبس أبا سفيان عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتّى تمرّ عليه**».

قال العبّاس: يا رسول الله إنّ أبا سفيان يحبّ الفخر فاجعل له شيئاً يكون في قومه.

فقال ﷺ:

**«مـن دخـل دار أبـي سفيان فهو آمـن... ومن دخل المسجد فهـو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن..»**.

ثمّ قال العبّاس: إلحق بقومك سريعاً فحذّرهم.

فخــرج حتّى أتــى مكّة فصرخ في المسجد: يا معشر قريشــ هذا محمّد قد جاءكم بمــا لا قِبَـلَ لكم به. ثمّ قال: من دخل داري فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وقال: يا معشر قريش أسلموا تسلموا.

مــا قبلت امرأته هند فأخذت بلحيته وقالت: يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق، فقال: أرسلي لحيتي وأقسم لئن أنت لم تُسلمي لتُضربنّ عنقك، ادخلي بيتك. فتركته.

ثــمّ بلغ رسول الله ﷺ مع جيشه منطقة «**ذي طوى**» وهي مرتفع يشرف على بيوت مكّة. فتذكّر الرسول ذلك اليوم الّذي خرج فيه مضطرّاً متخفّياً من مكّة. وها هو يعود إليها منتصراً، فوضع رأسه تواضعاً لله وسجد على رحل ناقته شكراً له سبحانه.

ثــمّ ترجّل النبيّ الأكرم ﷺ في «**الحجون**» إحدى محلّات مكّة، وفيها قبر خديجة عليها السلام واغتســل، ثمّ ركب ثانية بجهاز الحرب ودخــل المسجد الحرام وهو يتلو سورة الفتح. ثمّ كبّر وكبّر جند الإسلام معه. فدوّى صوت التكبير في أرجاء مكّة.

ثــمّ نزل عن ناقته، واقترب من الكعبة، وجعــل يُسقط الأصنام واحداً بعد آخر وهو يقول:

**«جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً»**.

وكان عــدد مــن الأصنام قد نُصب فـوق الكعبة، ولم تصل إليه يـد الرسول ﷺ فأمر عليّاً أن يصعد على كتفه المباركة ويرمي الأصنام فامتثل عليّ عليه السلام لأمر الرسول ﷺ.

ثمّ أخذ مفاتيح الكعبة[1].

(1) بتلخيص عن الكامل لابن الأثير، ج2، وتفسير مجمع البيان، تفسير سورة النصر.

11

# سُورَةُ الفَلَقِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا
وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا
حَسَدَ ٥﴾.

- أعوذ: «**العوذ**» هو الاعتصام والتحرّز من الشرّ بالالتجاء إلى من يدفعه.
- الفلق: الشقّ والفرق ويطلق أيضاً على الصبح لأنه يزيل الظلام.
- الغسق: أوّل ظلمة الليل.
- وقب: «**الواقب**» هنا الداخل.
- النفّاثات: «**نفث**» أيّ نفخ.

## هويّة السورة:

نزلت هذه السورة في مكّة المكرّمة[1]، وعدد آياتها خمس.

## محتوى السورة وفضيلتها

تتضمّن السورة تعاليم إلى النبيّ ﷺ خاصّة وللناس عامّة تقضي أن يستعيذوا بالله من شرّ كلّ الأشرار وأن يوكلوا أمرهم إليه ويأمنوا من كلّ شرّ باللجوء إليه. وبشأن نزول السورة ذكرت الرواية المنقولة في أغلب كتب التفسير أنّ النبيّ ﷺ أصيب بسحر بعض اليهود، ومرض على أثر ذلك فنزل جبرائيل عليه السلام وأخبره أنّ آلة السحر موجودة في بئر، فأرسل من يخرجها ثمّ تلا هذه السورة، وتحسّنت صحّته.

المرحوم الطبرسيّ ومحقّقون آخرون شكّكوا في هذه الرواية الّتي ينتهي سندها إلى عائشة وابن عبّاس لما يلي:

**أوّلاً**: السورة كما هو مشهور مكّيّة ولحنها مثل لحن السور المكّيّة، والنبيّ ﷺ جابه اليهود في المدينة وهذا يدلّ على عدم أصالة الرواية.

(1) قيل نزلت في المدينة.

**ثانياً**: لو كان اليهود بمقدورهم أن يفعلوا بسحرهم ما فعلوه بالنبيّ حسب الرواية لاستطاعوا أن يصدّوه عن أهدافه بسهولة عن طريق السحر، والله سبحانه قد حفظ نبيّه كي يؤدّي مهامّ النبوّة والرسالة.

**ثالثاً**: لو كان السحر يفعل بجسم النبيّ ما فعله لأمكن أن يؤثّر في روحه أيضاً، وتكون أفكاره بذلك لعبة بيد السحرة، وهذا يزلزل مبدأ الثقة بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. والقرآن الكريم يردّ على أولئك الّذين اتّهموا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه مسحور إذ قال:

﴿...وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾[1].

«**مسحور**» في الآية تشتمل على من أصيب بسحر في عقله أو في جسمه، وهذا دليل على ما نذهب إليه.

على أيّ حال لا يجوز أن نمسّ على قداسة مقام النبوّة بهذه الروايات المشكوكة على آيات لم ينزل مثلهنّ (**المعوذتان**)[2].

عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لأحد أصحابه:

«**ألا أعلّمك سورتين هما أفضل سور القرآن، أو مِن أفضل القرآن؟ قلت: بلى يا رسول الله، فعلّمني المعوذتين، ثمّ قرأ بهما في صلاة الغداة، وقال لي: إقرأهما كلّما قمت ونمت**»[3].

عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«**من أوتر بالمعوذتين وقل هو الله أحد قيل له: يا عبد الله أَبشِر فقد قَبِل الله وِتْرَك**»[4].

(1) سورة الفرقان، الآيتان: 8 – 9 .

(2) الحويزي، نور الثقلين، ج5، ص716، تصحيح وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم – إيران، مطبعة اسماعيليان، 1412 هـ، 1370 ش.

(3) م.ن.

(4) م.ن.

وواضح أنّ هذه الفضيلة نصيب من جعل روحه وعقيدته وعمله منسجمة مع محتوى السورة.

## في كنف السورة

في السورة المباركة استفادات عديدة:

1 - **الاستعاذة:**

بمــا أنّ الإنسان خُلق ناقصاً ضعيفاً، جاهلاً محتاجاً فقيراً، فإذن هو لا بدّ أن يلجأ إلــى كامل قويّ عالم غنــيّ، ولكنّ الإنسان وقع في خطأ تشخيصــ هذا الكامل، فركن إلــى ما لا يُركن إليه، وغفل عن ربّ الأرباب، ربّ العالمين، المحيط بكلّ شيء، العالم بالسرّ وأخفى، الّذي هو أقرب إلينا من حبل الوريد.

والإنسان عادة ما يستعيذ ويلجأ إلى آخر؛ عندما يفقد ثقته بنفسه في مواجهة شرّ داهــم، ويظــنّ أنّ ما يستعيذ به قادر على أن ينجيه ممّا هــو فيه، فيلجأ إليه، كما يلجأ الّذي يطارده الوحش إلى كهف أو حصن منيع.

وقد تكون الأخطار والشرور الّتي يخشى منها الناس مجرّد أوهام وظنون ووساوس شيطانيــة، وبعض النـاســ لخطأهم في تشخيص من يلجأون إليــه تعوّذوا مثلاً بالجنّ والسحــر والأصنام؛ وكان عليهم الاستعاذة بالله خالــق كلّ شيء، وهذا ما أمر الله به في آيات عدّة ومنها هذه الآية:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾.

فالاستعاذة حالة نفسيّة (لجــوء وركون)، قوامها: الخشية من الخطر، والثقة بمن يستعاذ به.

2 - **الشرور:**

ورد العديــد مــن الآيــات الكريمة الّتي تتحدّث عــن الشــرور، نذكر بعضها ليتكامل البحث:

**أ - توهُّم الشرّ والخير:**

إنّ الإنســان باعتبار ضعفه وجهله قـد يتوهّم أنّ ما غايته خير شراً، وما نهايته شرّ خيراً، فيتطلّع إلى ظواهر الأمور وبداياتها ولا يتطلّع إلى عمقها ونهاياتها.

يقول تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

فـالله سبحانه يفتح أمـام المؤمنين نافـذة ليطلّوا منها على عالـم أوسع من هذه المشاعر الشخصية الضيّقة الّتي تنتابُ الكائن البشريّ، ويعلّمهم أنّ المشاعر الذاتيّة بالكـره والحبّ، وتوهّم الخير والشـرّ، ليست معياراً لفهم المصلحـة الحقيقيّة للفرد والمجتمـع، فـرُبّ شيء تكرهونه ويكون فيه خير كثيـر، ورُبّ شيء تحبونه وهو ينطوي علـى شـرّ بليغ. والله تعالى هـو المحيط بخفايا الأمـور، ولا يستطيـع البشر مهما بلغ وعيهـم وفطنتهم إلّا أن يفهمـوا جانباً من تلك الخفايا والمصالح البعيدة في الأحكام الّتي كتبها على المؤمنين.

فعلـى الإنســان المؤمـن أن يفهـم أنّ كلّ هـذه القوانيـن والأحكام هـي لصالحه، تشريعيــة كانت كالجهاد والـزكاة والصوم، أم تكوينيّة كالمـوت والمصائب الّتي تحلّ بـه أو بأحبائه، ولذلك عليه بالتسليم لله والاستعاذة به ولا يحكّم فيها علمه المحدود، فعلمه بالنسبة لمجهولاته كذرّة بالنسبة إلى الكون الشاسع.

**ب - الشرّ والخير بلاء:**

قال تعالى:

﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[2].

(1) سورة البقرة، الآية 216.

(2) سورة الأنبياء، الآية 35.

فالدنيا دار امتحان وابتلاء، والآخرة هي دار القرار، والله تعالى يختبر الناس بالشرّ والخير .

مرض أمير المؤمنين عليه السلام فعاده قوم، فقالوا: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟

قال عليه السلام : **أصبحت بشرّ.**

قالوا: سبحان الله هذا كلام مثلك؟!.

فقال عليه السلام :

«**يقول الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، فالخير الصحّة والغنى، والشرّ المرض والفقر ابتلاءً واختباراً**»(1).

ثمّ أنّ المصائب هي وسيلة مهمّة لتكامل الإنسان.

يقول إمام الصابرين عليّ عليه السلام :

«**ألا وإنّ الشجرة البرّيّة أصلب عوداً والرواتع الخضراء أرقّ جلوداً، والنباتات العذية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً**»(2).

يقول أحد الحكماء: «**البرنامج العمليّ للعظماء هو: لا تتحمّل المشكلات فقط بل أحببها**».

ويقول: «**لقد طالعت كثيراً في حياة الرجال النادرين فوصلت إلى هذه النتيجة وهي أنّ سبب نجاح أغلبهم هو الموانع الّتي واجهوها في حياتهم**».

**ج - شرّ الخلق:**

يقول تعالى:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾(3).

---

(1) الراوندي، الدعوات ص168.

(2) نهج البلاغة، الكتاب 45.

(3) سورة الأنفال، الآية 22.

ويقول سبحانه:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[1].

ويقول جلّ وعلا:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[2].

**د - خير البريّة:**

يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾[3].

**3- النفّاثات في العقد:**

علـى بعض التفاسير أنّ النفّاثات فـي العقد إشارة إلى النساء اللاتي كنّ يوسوسن فـي آذان الرجال وخاصّة الأزواج ليثنينهم عن عزمهم المعقود وليوهننّ عزائمهم في أداء المهامّ الصالحة.

فـي الحقيقة أنّ للنسـاء دوراً بارزاً في الإفسـاد أو الإصـلاح، والتاريخ مليء بكلا النموذجين، فمثال على النموذج الفاسد ما يُروى عن سبب قتل النبيّ يحيى عليه السلام:

«**أنّ امرأة بغياً افتتن بها ملك بني إسرائيل، وكان يأتيها، فنهاه يحيى عليه السلام، ووبّخه على ذلك، وكان مكرّماً عند الملك، يطيع أمره ويسمع قوله، فأضمرت المرأة عداوته، وطلبت من الملك رأس يحيى وألحّت عليه، فأمر به فذُبح، وأُهدي إليها رأسه...**»[4].

(1) سورة الأنفال، الآية 55.

(2) سورة البينة، الآية 6.

(3) سورة البينة، الآيتان: 7 و 8.

(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج14، ص181.

ومثال علـى النموذج الصالح: انظر إلى «**دلهم بنت عمـرو**»، زوجة زهير بن القين الّتـي قالت لزوجها عندما حطّوا الرحـال في «**زرود**» وجاء إليه رسول الحسين، فتحيَّر ووجـم ولم يعـرف جواباً، فبادرته قائلة: سبحان اللّه، أيبعث إليك ابن رسول اللّه ﷺ ولا تجيبـه؟ مـا ضرّك لو أتيتـه فسمعت كلامه ثـمّ انصرفت؟ فـكان موقفها ودعمها الروحيّ وتشجيعها سبباً لتحوّل زهير إلى معسكر الحسين عليه السلام.

**4- شرّ الحاسدين:**

الحسـد شجرة خبيثة، لها فروع خبيثـة، كالحقد والعداوة والإيـذاء والكبر والقتل الخ، وقد ورد الكثير في ذمِّه، قال الصادق عليه السلام:

«**إنّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب**»[1].

وعن الصادق عليه السلام:

«**آفّة الدين الحسد والعجب والفخر**»[2].

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج73، ص237.

(2) م.ن، ص248.

## للمطالعة

### آفّة الحسد

عن رسول الله ﷺ قال:

«**قال الله عزَّ وجلَّ لموسى بن عمران عليه السلام: يا بن عمران لا تحسدنّ الناس على ما أتيتهم من فضلي ولا تمدّنّ عينيك إلى ذلك ولا تُتْبِعْهُ نفسك فإنّ الحاسد ساخط لِنِعَمي ضا لقسمي الّذي قسمت بين عبادي ومن يك ذلك فلست منه وليس مني**».

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره في معرض شرحه للحديث المتقدم:

إنّ «الحسد» حالة نفسيّة يتمنّى صاحبها سلب الكمال والنعمة الّتي يتصوّرها عند الآخرين، سواء أكان يملكها أم لا، وسواء أرادها لنفسه أم لم يردها، وهذا يختلف عن «الغبطة» لأنّ صاحب الغبطة يريد النعمة الّتي توجد لدى الغير، أن تكون لنفسه، من دون أن يتمنّى زوالها عن الغير.

وأمّا قولنا «النعمة الّتي يتصوّرها عند الآخرين» فنعني به أنَّ تلك النعمة قد لا تكون بذاتها نعمة حقيقيّة. فطالما تبيّن أنّ الأمور الّتي تكون بحدّ ذاتها من النقائض والرذائل، يتصوّرها الحسود من النِّعم والكمالات، فيتمنّى زوالها عن الآخرين، أو أنّ خصلة تعدُّ من النقائص للإنسان ومن الكمال للحيوان ويكون الحاسد في مرتبة الحيوانية فيراها كمالاً، ويتمنّى زوالها. فهناك بين الناس، مثلاً، أشخاص يحسبون الفتك بالغير وسفك الدماء موهبة عظيمة. فإذا شاهدوا من هو كذلك حسدوه، أو قد يحسبون سلاطة اللسان وبذاءته من الكمالات وتصوّر وجود النعمة، لا النعمة لنفسها، فالذي يرى في الآخرين نعمة حقيقيّة كانت أو موهومة ويتمنّى زوالها، يُعدُّ حسوداً.

اعلم أنّ للحسد أنواعاً ودرجات حسب حال المحسود وحسب حال الحاسد وحسب حال الحسد ذاته. أمّا من حيث حال المحسود، فمثل أنّ يحسد شخصاً لما له من

كمــالات عقليــة، أو خصال حميدة، أو لما يتمتّع به من الأعمال الصالحة والعبادية، أو لأمــور خارجية أخرى، مثل امتلاك المال والجاه والعظمة والاحتشام وما إلى ذلك، أو أن يحسد على ما يقابل هذه الحالات من حيث كونها من الكمال الموهوم الموجود في المحسود.

وأمّــا من حيث حــال الحاسد فقد ينشأ الحســد أحياناً من العــداوة، أو التكبّر، أو الخوف وغير ذلك من الأسباب والعوامل الّتي سيرد ذكرها فيما بعد.

وأمّا من حيث حال الحسد نفسه، الّذي نستطيع أن نقوله إنّها الدرجات، والتقسيمات الحقيقيّــة للحســد دون ما سبق ذكــره فلشدّته وخفّته مراتب كثيــرة تختلف باختلاف الأسباب كما تختلف باختلاف الآثار.

12

# سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ
﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ
النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.

- الوسواس: الصوت الخفيّ الّذي لا يُحَسّ.
- الخنّاس: صيغة مبالغة من الخنوس وهو التراجع والاختفاء.
- الجِنّة: أيّ الجنّ في مقابل الإنس.

## هويّة السورة:

نزلت هذه السورة في مكّة المكرّمة[1]. وآياتها ستّ.

## محتوى السورة وفضيلتها

الإنســان معرّض دائمــاً لوساوس الشيطان. وشياطين الجــنّ والإنس يسعون دائماً للنفــوذ في قلبــه وروحه. ومقام الإنسان فــي العلم مهما ارتفــع، ومكانته في المجتمع مهما سَمَتْ يزداد تعرّضه لوساوس الشياطين ليبعدوه عن جادّة الحقّ، وليبيدوا العالم بفساد العالِم.

هــذه الســورة تأمر النبــيّ ﷺ باعتباره القــدوة والأسوة أن يستعيــذ بالله من شرّ الموسوسين.

محتــوى هذه السورة شبيه بمحتوى سورة الفلــق، فكلاهما يدوران حول الاستعاذة بالله من الشرور والآفّات، مع فارق أنّ سورة الفلق تتعرّض لأنواع الشرور، وهذه السورة تركّز على شرّ (الوسواس الخنّاس).

وفي فضيلة هذه السورة وردت روايات متعدّدة منها:

«**إنّ رسول الله ﷺ اشتكى شكوى شديدة، ووجع وجعاً شديداً. فأتاه جبرائيل**

---

(1) وقيل في المدينة.

**وميكائيل عليه السلام ، فقعد جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، فعوّذه جبرائيل بِقُلْ أعوذ بربّ الفلق وميكائيل بِقُلْ أعوذ بربّ الناس»**[1].

وَرويَ عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

**«من أوتر بالمعوذتين وقُلْ هو الله أحد قيل له: يا عبد الله أبشِر فقد قَبِل الله وِتْرَك»**[2].

## في كنف السورة:

1 - **الوسواس:**

الإنسان مركّب من العقل والشهوة، والملائكة من العقل فقط، والحيوان من الشهوة فقط، كما ورد في بعض الأحاديث. لذلك كان من الطبيعيّ أنّ الإنسان تتجاذبه الموجات المتقابلة، من جهة موجة إلهيّة ملائكيّة ومصدرها العقل، ومن جهة أخرى موجة شيطانيّة إبليسيّة ومصدرها الشهوة، فهما يتصارعان، فإذا تغلّب عقل الإنسان على شهوته أصبح أفضل من الملائكة، وإذا تغلّبت شهوة الإنسان على عقله أصبح أخسَّ من الحيوان.

من هذا التصارع والتضادّ في روح الإنسان وقلبه، يدخل الوسواس لكي يغلّب جهة الشهوة والهوى على جهة العقل والحكمة.

ولقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

**«ما من مؤمن إلّا ولقلبه أذنان في جوفه: أُذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس، وأُذن ينفث فيها الملك، فيؤيّد الله المؤمن بالملك، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾**[3].

---

(1) الحويزي، نور الثقلين، ج5، ص7645، الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص567 و569.

(2) م.ن.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص267.

وعنه عليه السلام:

**«ما من قلب إلّا وله أُذنان، على أحدهما ملك مرشد، وعلى الآخر شيطان مفترٍ، هذا يأمره وهذا يزجره، وكذلك من الناس شيطان يحمل الناس على المعاصي، كما يحمل الشيطان من الجنّ»**[1].

2 - **علاج الوسواس:**

والوسواس مخالـف للعقل والحكمة. وكثرة تكرار الوسوسة علـى النفس تؤثّر سلباً عليها، كما أنّ الإيحاء الإلهيّ الملائكيّ وكثرة تكراره في النفس يؤثّر إيجاباً عليها.

وهـذا سرُّ الأمر بذكـر الله تعالى ذكراً كثيراً؛ لأنّ النفسـ إذا لم تمتلئ بذكر الله، فسيدخل الوسواس الشيطانيّ الشهوانيّ إلى الفراغ النفسيّ.

ولقد حثّ الإسلام العظيم على ذكر الله، فقال القرآن الكريم:

﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[2].

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾[3].

وحذّر من الإعراض عن ذكره:

﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾[4].

وقال الصادق عليه السلام:

**«مـا ابتلـي المؤمـن بشيء أشدّ عليه مـن خصال ثلاث يحرمهـا، قيل: وما هن؟ قـال: المواسـاة في ذات الله، والانصاف من نفسه، وذكر الله كثيراً، أما وإنّي لا أقول لكـم: سبحـان الله والحمـد لله ولا إله إلّا الله والله أكبـر، ولكن ذكر الله عند ما أُحلّ له، وذكر الله عند ما حُرّم عليه»**[5].

(1) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج60، ص246.
(2) سورة الأحزاب، الآية 41.
(3) سورة آل عمران، الآية 41.
(4) سورة الزخرف، الآية 36.
(5) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج72، ص35.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

**قال الله سبحانه: «إذا علمت أنّ الغالب على عبدي الاشتغال بي نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي، فإذا كان عبدي كذلك فأراد أن يسهو حلت بينه وبين أن يسهو، أولئك أوليائي حقاً، أولئك الأبطال حقاً، أولئك الّذين إذا أردت أن أهلك الأرض بعقوبة زويتها عنهم من أجل أولئك الأبطال»**(1).

واعتبر الإمام الباقر عليه السلام ذكر الله صلاة، فقال:

**«لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله قائماً كان أو جالساً أو مضطجعاً، إنّ الله يقول: الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السموات والأرض...»**(2).

وقد تحدّث الإمام الخمينيّ عن تأثير الإيحاء المكرّر في النفس الإنسانيّة ولكن بمفهوم التلقين فقال:

**«إنّ الكتب الّتي جاءت لبناء الإنسان كالقرآن الكريم، والكتب الّتي كتبت في الأخلاق وتستهدف بناء الإنسان وبناء الاجتماع تكرّر المواضيع حسب أهمّيّتها. ويكثر التكرار في القرآن الكريم، ويتساءل البعض لماذا هذا التكرار؟ في حين أنّه لازم أنّ التلقين هو من الأشياء المفيدة لبناء الإنسان. لو أراد الإنسان أن يبني نفسه لوجب عليه أن يلقّن نفسه تلك الأمور المرتبطة ببناء نفسه ويكرّرها.»**

**ويزداد تأثير تلك الأمور الّتي ينبغي أن تؤثّر في نفس الإنسان من خلال التلقين والتكرار. فسبب تكرار الأدعية وتكرار الصلاة في كلّ يوم عدّة مرات ودائماً هو لكي يقول الإنسان ويسمع، ويقرأ بنفسه ويستمع إلى تلك الآيات الّتي تبنيه مثل سورة الحمد المباركة... فالتلقين هو من الأمور الضرورية.**

---

(1) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج90، ص162.

(2) م.ن، ص152.

**وسبب أنّني ألقّن الأصدقاء في بعض المسائل مطلباً باستمرار هو أهمّيّة المطلب... ولذا ينبغي تكرار المسائل المهمّة، وأن يقوم الخطباء بالتكرار، ويلقّن المستمعون أنفسهم باستمرار حتّى تؤثر في النفوس إن شاء الله»**(1).

ويقول أيضاً قدس سره:

«**وكان شيخنا الجليل (آية الله الشيخ محمّد عليّ الشاه آباديّ) يقول: إنّ المثابرة على تلاوة آخر آيات سورة الحشر المباركة، من الآية الشريفة:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(2) **إلى آخر السورة المباركة، مع تدبّر معانيها، في تعقيبات الصلوات، وخصوصاً في أواخر الليل حيث يكون القلب فارغ البال، مؤثّرة جدّاً في إصلاح النفس وفي الوقاية من شرّ النفس والشيطان»**(3).

كان من بعض معالجات اليهود للمريض أنّهم يهمسون في أذنه ببعض آيات من سفر الخروج الّتي تقول: «**إذا أصغيت لكلام الربّ إلهك، وعملت ما هو حقّ في نظره، واستمعت إلى وصاياه، وحافظت على جميع فرائضه فلن أرسل عليك أيّ مرض من الأمراض الّتي أرسلتها على المصريّين فإنّي أنا الربّ الّذي يبرئك**».

إنّ هذا الهمس والإيحاء وتأثيره يُعْرَف في علم النفس الحديث «**بالإيحاء**» الّذي يؤثّر في النفس الإنسانيّة تأثيراً لا شكّ في فاعليته ونجاحه كما تدلّ تجارب هؤلاء العلماء.

### 3 - تنوّع الوسواس في هذا العصر:

الوسواس الشيطانيّ كانت وسائله في الماضي أقلّ خطراً ودخولاً إلى المجتمع المؤمن، أمّا في هذا الزمن فلقد كثرت الإغراءات وقلّت الكوابح. سبل الشيطان

(1) الإمام الخمينيّ قدس سره، كتيب التربية والمجتمع، مركز الإمام الخمينيّ قدس سره، ص67.
(2) سورة الحشر، الآية 18.
(3) الإمام الخمينيّ قدس سره، كتيب التربية والمجتمع، مركز الإمام الخمينيّ قدس سره، ص39.

مفتوحـة، وأبواق الضلال مرتفعة أصواتها. في هذا الزمـن أصبح المؤمن فيه قابضاً على إيمانه كأنّه قابض على الجمر.

فالوسواس في هـذا الزمن يأتي بألـف ملبس وملبس، فلا بدّ مـن اللجوء إلى ربّ الناس وملك الناس وإله الناس، والاستعاذة به منه فـي كلّ أشكاله وصوره: أصدقاء السوء، الجلساء المنحرفون، الولاة الجبابرة الطواغيت، الكتّاب والخطباء والشعراء والفاسدون والمدارس الإلحادية والالتقاطية المخادعة ووسائل الإعلام الفاسدة والانترنت، إلى غير ذلك ممّا يندرج تحت المفهوم الواسع للوسواس الخنّاس.

﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1].

(1) سورة النساء، الآية 76.

## للمطالعة

### وسوسة الشيطان

في الحديث:

**«ذكرتُ لأبي عبد الله عليه السلام رجلاً مبتلى بالوضوء للصلاة وقلت له: هو رجل عاقل. فقال أبو عبد الله عليه السلام: وأيّ عقل له وهو يطيع الشيطان؟ فقلت له: وكيف يطيع الشيطان؟ فقال: سله هذا الّذي يأتي من أيّ شيء هو؟ فإنّه يقول لك: من عمل الشيطان»**[1].

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره أعلى الله مقامه:

إعلم أنّ الوسوسة والشكّ والتزلزل والشرك وأشباهها من الخطرات الشيطانيّة والإلقاءات الإبليسيّة الّتي تقذف في قلوب الناس. كما أنّ الطمأنينة واليقين والثبات والإخلاص وأمثالها من الإفاضات الرحمانيّة والإلقاءات الملكيّة وتفصيل هذا الإجمال بصورة مختصرة هو أنّ قلب الإنسان شيء لطيف متوسّط بين نشأة الملك ونشأة الملكوت. بين عالم الدنيا وعالم الآخرة وجهة منه نحو عالم الدنيا والملك، وبها يعمّر هذا العالم، ووجهة أخرى منه نحو عالم الآخرة والملكوت والغيب وبها يعمّر عالم الآخرة والملكوت.

فالقلب بمثابة مرآة لها وجهان، وجهة منها نحو عالم الغيب وتنعكس فيه الصور الغيبية، ووجه آخر نحو عالم الشهادة وتنعكس فيه الصور الملكيّة الدنيويّة. ويتمّ انعكاس الصور الدنيويّة من خلال القوى الحسّية الظاهريّة وبعض القوى الباطنيّة مثل الخيال والوهم وتنتقش الصور الأخرويّة فيها من باطن العقل وسرّ القلب.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج1، ص12،

فإذا قويت الوجهة الدنيويّة والتفَّت كلّيّاً إلى تعمير الدنيا وانحصرت في هذا العالم واستغرقت في ملاذّ البطن والفرج وكافة المشتهيات والمتع الدنيويّة، انعطف باطن الخيال نحو الملكوت السفليّ الّذي يكون بمثابة الظلّ المظلم لعالم الملك والطبيعة وعالم الجنّ والشياطين والنفوس الخبيثة. وتكون الالقاءات شيطانيّة وباعثة على تخيّلات باطلة وأوهام خبيثة. وحيث أنّ النفس تنتبه إلى الدنيا فتشتاق إلى تلك التخيّلات الباطلة ويتبعها أيضاً العزم والإرادة وتتحوّل كلّ الأعمال القلبيّة إلى سنخ الأعمال الشيطانيّة من قبيل الوسوسة والشكّ والترديد والأوهام والخيالات الباطلة وتصبح الإرادة على ضوء ذلك في ملك الجسم فعّالة وتتجسّد الأعمال البدنيّة أيضاً حسب الصور الباطنيّة للقلب لأنّ الأعمال صورة وتمثال للإرادات الّتي هي صور ومثال للأوهام الّتي بدورها انعكاس لاتّجاه القلب. وحيث إنّ وجهة القلب كانت نحو عالم الشياطين، كانت الإلقاءات في القلب من سنخ الجهل المركّب الشيطانيّ وفي النتيجة تستشري من باطن الذات الوسوسة والشكّ والشرك والشبهات الباطلة وتسري في كلّ أنحاء الجسم.

وعلى هذا القياس المذكور، إذا كانت وجهة القلب نحو تعمير الآخرة والمعارف الحقّة وعالم الغيب لحصل له وئام مع الملكوت الأعلى الّذي هو عالم الملائكة وعالم النفوس الطيّبة السعيدة والّذي يكون هذا العالم بمثابة الظلّ النورانيّ لعالم الطبيعة. وتعتبر العلوم الّتي تفاض عليه من العلوم الرحمانيّة الملكيّة والعقائد الحقّة وتصير الخواطر من الإلقاءات والخواطر الإلهيّة ويتطهّر من الشكّ والشرك وينزّه منهما وتجعل الاستقامة والطمأنينة في النفس وتصير أشواقها أيضاً على ضوء تلك العلوم وإرادتها على ضوء تلك الأسواق. ومجمل الكلام أنّ الأعمال القلبيّة والظاهريّة والباطنيّة تتحقّق على أساس العقل والحكمة.

1003009

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
بيروت ـ لبنان ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org